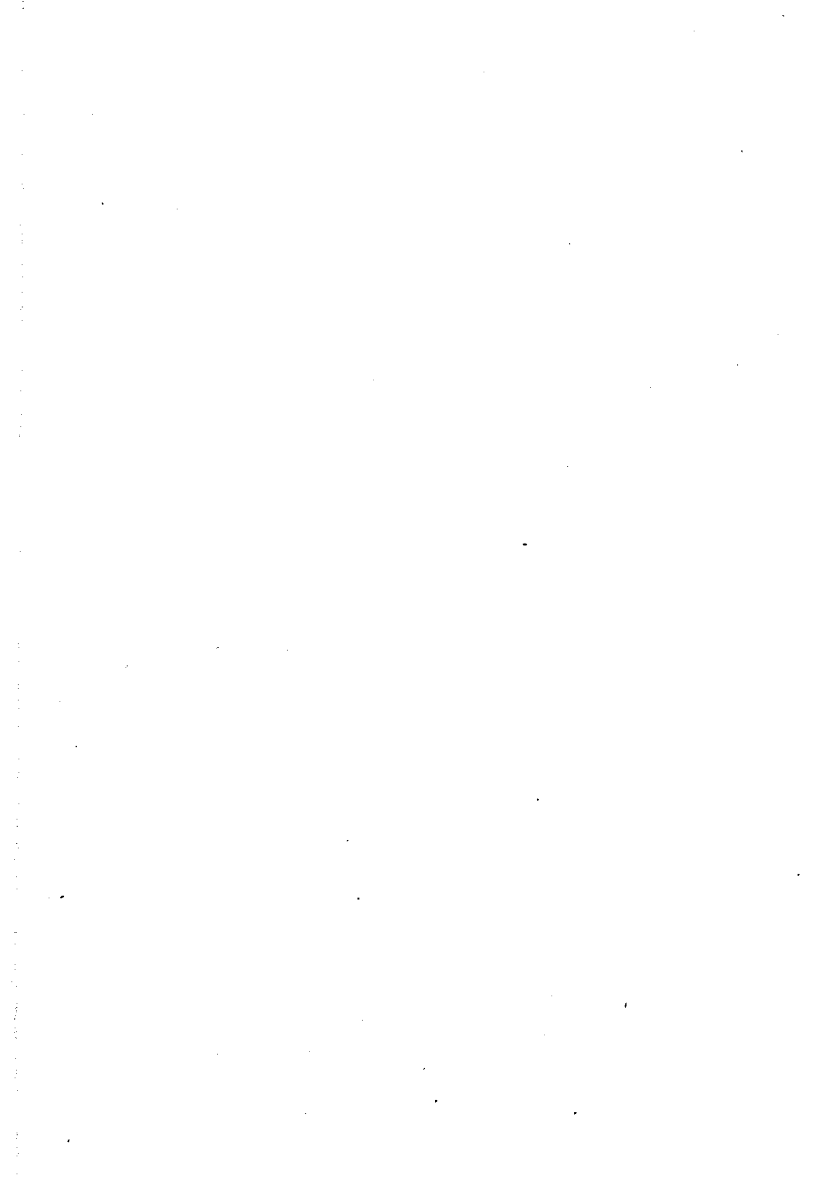
مارجوري لوتي

دورها في اللعبة



جمهورية مصر العربية
١٥ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر
ت : ٢٥١٤٢٩٥٥ - موبايل : ٠١٢٣٣٧٨٦٤١٨





روايات عبير

منذ صدور هذه الروايات في العالم العربي، بعدما طالعها القراء عبر جهات الأرض الأربع، ونحن نتلقى التهاني والتشجيع ورسائل الشذى الطيبة من كل مكان.

لأن هذه الروايات بطاقات سفر ذهاباً فقط الى عالم النقاء العاطفي وصفاء الأحلام، ولأنها لمسة فسيم بالغة الرقة، ورفيقة المطالعة المفضلة لدى الملايين في العالم كله.

اربطوا حزام الأمان فالرحلة الى عالم الحب تبدأ في الصفحة التالية!

دورها في اللعبة

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
TO CATCH A BUTTERFLY

١ - أمثاله من الرجال

كانت الساعة تقارب الخامسة من مساء أحد ايام تموز/ يوليو الشديدة الحر في لندن، حين توقفت فتاتان في غرفة الطباعة من مركز آش بروك لأعمال السكرتارية عن طباعة تقرير إداري مملّ، في محاولة لمقاومة الحرارة الشديدة التي غزت المكان طوال فترة بعد الظهر.

استرخت مارلين في كرسيها الدوار، وجعلت تهوّي نفسها بتحريك صحيفة مطوية أمام وجهها، وأكملت حديثاً كانت قد بدأته قبل قليل مع صديقتها. قالت لها:

ـ لا بدّ أنك تمزحين يا كيت.

فأجابت كيت وارنغتون الزهرة اليانعة الجميلة ذات الاثنين

والعشرين ربيعاً، صاحبة القد النحيل، العينين المعبرتين، والأنف الدقيق:

ـ لا أبداً. . أنا جادة تماماً فيما أقول.

لم تصدقها مارلين التي تلاعبت بخصلات شعرها الذهبي قبل ان تقول:

ـ ايعني هذا أنك لن تتزوجي مليونيراً اذا سنحت لك الفرصة؟

عادت كيت الى الآلة الكاتبة أمامها، لتضع فيها أوراقاً وهي تؤكد:

ـ هذا ما اعنيه بالفعل.

فسألتها مارلين بخبث وهي تلوّح بالصحيفة أمام عينيها:

ـ ولا حتى هو؟

فهمت كيت لماذا اثارت مارلين موضوع الأغنياء عندما تأملت في الصحيفة صورة رجل اسمر، له شفتان رقيقتان، وأهداب طويلة، وجاذبية قوية لم يستطع التصوير الرديء أن يخفيها. تأملت الصورة ملياً: الوجه وجه رجل يعرف كيف يتخلص من منافسيه. وقرأت تحت الصورة العنوان والتعليق التاليين:

« هل عاد المليونير الشاب مع امواله؟

يعود اليوم من تورونتو - كندا صاحب مقالع الحجارة دميان سانت اوين، ومعه وعد شرطي من شركة فزتور الكندية الذي قد يصل إلى سبعة بنود. ويمكن اعتبار هذه الخطوة خطوة اولى على طريق اعادة افتتاح منجم ويل دورا للقصدير في كورن وول الغربية حيث كشفت عمليات الحفر مؤخراً عن وجود احتياطي كبير من المعادن الخام. والسيد سانت اوين هو المالك الفعلي لأحد انجح المقالع الأردوازية في البلاد، ويعتبر من الممولين لاتفاقية

صناعة صيد الأسماك الجديدة في البلاد في منطقة بولكينوك».
اعادت كيت الصحيفة الى مارلين بصمت، وغرقت من جديد في عالم آلتها الكاتبة، لكن فضول مارلين ذات الوجه الممتلىء، كان أقوى من أن يقهر، وظهر ذلك جلياً حين تساءلت:
- أليس هذا هو الرجل الذي ذهبت لنقل الرسائل عنه في الأسبوع الماضي؟
ارتبكت كيت قليلاً قبل ان تجيب:
- نعم، إنه هو.
وأغرقتها أمواج افكارها: (نجحت اذن رحلة المليونير الكبير الى كندا. لكن لماذا الاستغراب؟ دميان سانت اوين شخصية آسرة، لا يؤمن بالفشل كمرادف للنجاح في أي شيء يفعله. صدقت السيدة آش بروك حين اعتبرته احد رجال المال البارعين في البلاد، قبل ان ترسلني اليه لأدون له مراسلاته التي كتبها إبان رحلة عودته بالقطار من كورن وول. لقد اكدت السيدة آش بروك انه من الرجال الذين سيعيدون البلاد الى مكانتها الطبيعية في قيادة الأمم. إن اعجاب السيدة آش بروك بالأغنياء ليس بغريب فهم قوام مؤسستها لأعمال السكرتارية. اما انا فلي رأي مخالف تماماً لرأيها في ملوك المال لأسباب خاصة لم اصارح بها احداً حتى الآن...).
واختطفتها مارلين الى برّ الواقع من جديد قائلة:
- لم تقولي لي أنه وسيم الى هذا الحد. الم يكن العمل معه مثيراً؟ الم تتأثري بشخصيته؟
- تأثرت لكن ليس إلى الحد الذي تتصورينه.
اغرقها فيضان افكارها، وهي تعرف انها كاذبة في تصريحها: (تأثرت بشخصية ملك المال هذا، لكن ليس بالطريقة التي تتخيلها

مارلين. يوم اجتمعت به، احسست بالنفور الذي احسه مع امثاله من الرجال الذين يعيشون لجني الأموال فقط، يقف بيننا حاجزاً صلباً. وزاد من ارتفاع هذا الحاجز كونه شاباً وسيماً، ذا جاذبية خاصة، ويعيش في كورن وول جنة احلامي التي من الخطأ ان تعطي العالم ملك مال مثل دميان سانت اوين. لكني لن افسر كل هذا لمارلين التي ما زالت في الثامنة عشرة وتتصور مؤسسة كهذه ينبوعاً للعلاقات العاطفية).

عادت الى الواقع قائلة:

ـ لا بد انك شاهدت الكثير من الأفلام العاطفية مؤخراً.

تنهدت مارلين مجيبة:

ـ قد تكونين على حق. فأنت تشبهين بطلة الفيلم الذي شاهدته مساء امس يا كيت.

وراحت تتأمل اناقة كيت وجمالها باعجاب يخالطه الحسد قبل ان تكمل:

ـ كانت البطلة ذات اعصاب باردة لكن ليس بالمعنى الحقيقي للكلمة. هل فهمت ما اعنيه؟

ثم استرسلت بالضحك وقالت:

ـ ما زلت اذكر ذلك المشهد العاطفي بينها وبين ذلك الرجل في الأدغال...

وقطع عليها تسلسل افكارها رنين الهاتف:

ـ انه رنين هاتف السيدة آش بروك، أليس كذلك يا كيت؟ سأنصرف الآن، واعدك ان انهي ما علي طبعه خلال عشر دقائق صباح غد.

ثم اكملت وهي تدفع بأكداس من الورق الى درج المكتب:

ـ لقد وعدت نورمان ان اراه في السادسة مساء، ولا يمكنني المجازفة والبقاء على رأس عملي حتى ذلك الوقت المتأخر، لأنه يغضب اذا تركته ينتظر.

ثم تطلعت الى كيت وقالت معتذرة:

ـ هل تراني اخذلك؟

ـ ابداً، اذهبي الى موعدك، وسأحل محلك في حال حدوث أي طارىء.

قالت ذلك وهي تتذكر: (ركزت السيدة آش بروك على ان موظفاتها يجب الا يكنّ من عاشقات مراقبة الساعات، لأن هناك الكثير من الشخصيات الهامة التي تزور البلاد من وراء البحار، هذا عدا عن رؤساء الشركات والمسؤولين عن المبيعات الذين يأتون الى لندن من الضواحي، ويطلبون سكرتيرة متخصصة لساعة او اثنتين خارج اوقات الدوام الرسمي صباحاً او مساء. هؤلاء الرجال لا يرحمون انفسهم في دوامة الأعمال الكبيرة. وكانوا على استعداد لدفع الكثير للسيدة آش بروك من اجل فتيات لا يعرفن معنى رحمة النفس ايضاً. اما انا فمن اللواتي يعتبرن عالم رجال الأعمال هذا عالماً قاحلاً، سأهرب منه عند اول فرصة إلى كوخ صغير هادىء، في منطقة كورن وول مسقط رأس امي، تاركة خلفي دون أسف سباق الجرذان هذا ومديريه. لكنني ما دمت اعمل هنا، فيجب ان اعمل بضميري. ثم ان لدي مشكلة المربية، تلك المشكلة الشائكة الملحة التي لا زالت تبحث عن حل، والتي استلمت بشأنها رسالة هذا الصباح جاء فيها. . .

«عزيزتي الآنسة كيت: (هي تصر على تسميتي الآنسة كيت، كما كانت تفعل طوال السنين التي قضتها في خدمة عائلتي).

شكراً لك على رسالتك الحلوة. يسرني ان اخبرك اننا بخير هنا، هذا اذا استثنينا مونتي الخبيث الذي خرج مساء السبت، وبقي خارج المنزل طوال الليل، ولم يستجب لندائي. وعندما عاد في الصباح لتناول فطوره كانت اذنه جريحة ودامية، فاضطررت الى اخذه الى الطبيب البيطري. نصحني الطبيب يوماً ان اعالج هذا القط بشكل يمنعه من الخروج ليلاً، لكنني رفضت الفكرة تماماً لأنها قاسية وحشية، والحمد لله تفهمني الطبيب تماماً، واكد لي ان مونتي افضل مؤنس لي في وحدتي، ووضع على اذنه بعض المطهر، والجرح يسير الآن خطوات حثيثة نحو الشفاء.

وصلتني رسالة ثانية من محامي السيدة غراي هذا الصباح، اكد لي فيها أنه بصدد اتخاذ اجراءات معينة بشأن البيت الذي أسكنه، لأن السيدة غراي كانت قد تركته لابن اخيها في وصيتها، وهو يريد بيعه لأنه بحاجة لبعض المال.

ترى ماذا يجب ان يكون جوابي يا آنسة كيت؟ انهم لا يستطيعون طردي من البيت، أليس كذلك؟ انا لا افهم شيئاً مما يسمونه الاجراءات القانونية، لكن المشكلة فرضت نفسها على تفكيري، لأنني لا اريد ان اكون مصدر متاعب لأحد، وخاصة ابن اخ السيدة غراي، لأنه شاب لطيف، ومن المحرج الا امتثل لارادته، لأنه المالك الحقيقي اولاً واخيراً. لقد جاء لزيارتي في الأسبوع الماضي، وشرح لي الوضع بكل لطف. افكر باللجوء الى دار للعجزة في مكان ما، لكني لا اعتقد انهم يسمحون لي بالابقاء على مونتي، ام هل تراهم يفعلون؟)

هنا توقفت كيت عن القراءة، واعادت الرسالة الى حقيبة يدها دون ان تكون لديها ادنى فكرة عما يجب فعله. كانت المربية تدفع

اجرة البيت بانتظام، لكن هذا لن يكفي لتخفيف ضغط الحاجة المادية على ابن اخ السيدة غراي. كثيرون من الملاّكين يخرجون المستأجرين من بيوتهم لبيعها بأثمان اغلى، واذا خرجت المربية من بيتها، فلن تجد مكاناً مقبولاً يأويها. لذلك كله، فحل المشكلة يتطلب معجزة.

ونبه كيت من افكارها خروج السيدة آش بروك من غرفتها. كانت سيدة في الأربعين من عمرها، أنيقة، معتدّة بنفسها، وقاسية عند اللزوم. صفات لا يمكن لمديرة الأعمال التخلي عنها اذا ارادت النجاح. كانت تعامل موظفاتها بلطف مدروس، وبما ان كيت كانت موظفة مجدة في مؤسستها، فقد كانت من المقربات.

سارعت السيدة آش بروك الى القول:

ـ كيت... عزيزتي. لا زلت هنا... عظيم. اتصل بي منذ قليل السيد سانت اوين من مطار هيثرو. سيذهب إلى بيته اولاً، ثم الى كورن وول مساء بالقطار، ويتساءل إذا كان لديك الوقت لمساعدته قبل رحيله. اكدت له اني سأرى، اذا كنت موجودة، وسيعود إلى الاتصال بعد دقائق.

ـ هل طلبني أنا بشكل خاص؟

ـ نعم، قال إنه إذا لم تكوني موجودة، فلا لزوم لتكليف أي موظفة اخرى.

هنا تذكرت كيت انه رغم قناع البرود والهدوء الذي يستتر السيد سانت اوين وراءه، فهو إنسان إيجابي، واثق من نفسه ويعرف كيف يلح على ما يريد. انسحبت كيت بهدوء الى دنيا افكارها ترافقها غصة ألم: (الثقة اللامتناهية بالنفس، وانعدام الرحمة سلاحان يستخدمان على طريق الوصول إلى القمة،

سلاحان لم يكن أبي يمتلكهما، لذلك حدث له ما حدث).

وعاد بها صوت السيدة آش بروك الى الواقع:

- هل تعتقدين ان باستطاعتك تدبير الأمور؟ أعرف انك قمت بالكثير من الأعمال الاضافية في الفترة الأخيرة، لكنني سأكون لك من الشاكرات إذا وافقت على الذهاب.

طمأنتها كيت وهي تنقذ اوراقاً من براثن الآلة الكاتبة:

- حسناً، سأذهب.

قالتها وهي تفكر بالمال الاضافي الذي سيضاف الى مدخراتها، التي لن تكفي مع الأسف لحل مشكلة مربيتها الحنون. تساءلت:

- الاجتماع في المكان المعتاد، أليس كذلك؟

وتراقصت في مخيلتها صورة بيت فخم في منطقة غرين بارك الراقية.

- نعم عزيزتي، وشكراً لك. ها هو جرس الهاتف يتعالى من جديد. اعتقد ان صبر الرجل قد نفد.

وتابعت وهي تتجه الى مكتبها:

- اركبي سيارة أجرة وسأضيفها الى حسابه.

- سأفعل.

لكن الحظ لم يحالف كيت في ايجاد سيارة اجرة في تلك الساعة المزدحمة من ساعات النهار، مما جعلها تصرف النظر عن الانغماس مع الكتل البشرية في انتظار الباص او الترام، وشجعها على قطع المسافة سيراً على الأقدام.

كانت الشمس لا زالت تلسع الأرصفة المكتظة، والشوارع والسطوح بسياط حرارتها اللاذعة التي تركت كيت تتصبب عرقاً، وتهرب بذكرياتها الى كورن وول، حيث كانت تتمتع بزرقة السماء

ورطوبة الصخور ونداء الطيور، تاركة اصابع الهواء العليل تداعب وجنتيها الغضتين. لكن ما جدوى الأحلام! ما دامت لن تستطيع الذهاب في اجازة قبل ان تفي بالديون التي اثقلت كاهلها تجاه مربيتها، تلك الديون التي تجاوزت حيّز المال.

كانت في الثامنة عشرة من عمرها، عندما انهارت امبراطورية أبيها، رجل الأعمال المعروف الذي راح ضحية ازمة قلبية سببها له انسحابه من دنيا العمل. تركها وحيدة دون سند. عذبها تخلي اصدقائها عنها، وآلمها ترك روجر خطيبها لها، حتى إنها تمنت الموت وسيلة للخلاص. لكن مربيتها الحنون، ظهرت في حياتها لتهبها الحب والأمل اللذين ساعداها على البداية من جديد. كانت البداية في احدى مؤسسات التدرب على اعمال السكرتارية في لندن. دفعت السيدة الحنون لها مصاريفها من مدخراتها الخاصة. كانت المسكينة تصر دائماً:

ـ انت فتاة ذكية يا آنسة كيت. ويجب ان تتاح امامك افضل فرص التدريب، حتى تستطيعي الحصول على وظيفة ممتازة فيما بعد.

وأثبتت الظروف اخيراً بعد نظر المربية العزيزة، وصدق حدسها، وذلك عندما استطاعت كيت الحصول على وظيفة عند السيدة آش بروك براتب ممتاز ترك لها المجال مفتوحاً لاستئجار شقة. لكنها فضلت العيش مع اربع فتيات في منزل كبير قديم في منطقة هاي غيت، والعمل بجد حتى تستطيع توفير المال اللازم للوفاء بدينها للسيدة العجوز الطيبة. بعد ذلك ستكون الفرصة سانحة امامها للتفكير بنفسها وحياتها، بعيداً عن انياب العالم المالي التي نهشت يوماً والدها.

لكن التوفير لم يكن سهلاً في مدينة مثل لندن، يلتهمها الغلاء، ويتلاعب بها التضخم المالي. في وظيفة مثل وظيفتها، يجب التفكير دائماً بالمظهر والهندام من اجل اعطاء فكرة حسنة عن المؤسسة بشكل عام. لذلك كله كان عليها ان تتناسى فكرة السفر إلى كورن وول في الوقت الحاضر، والانصراف الى العمل، والقناعة بقضاء عطلتها الصيفية في بيت المربية العزيزة الصغير في منطقة بريستول، كما هي عادتها، مفترضة ان البيت سيبقى لها يأويها، ويحنو عليها. آلمتها الفكرة، فهربت من الألم إلى احضان المروج الخضراء، والأمواج المتلاطمة التي ساعدها تذكرها على خنق الألم في داخلها بينما كانت تشق طريقها عبر شارع البيكاديلي، وشارع ريجنت حتى وصلت الى البناء الضخم الذي يعيش السيد سانت اوين في احد طوابقه. في داخل البناء المكيف، احست كيت ببرودة حلوة تسري في اوصالها. وعندما ابلغها المسؤول عن البناء، ان السيد سانت اوين لم يصل بعد، اتجهت إلى غرفة إيداع المعاطف الموجودة في الطابق الأرضي لفحص هندامها، والتأكد من حسن مظهرها بعد تلك المسيرة الشاقة. وعندما تمّ ذلك، صعدت لتنتظر المليونير الكبير السيد دميان سانت اوين الذي وصل بعدها بعشر دقائق، واجتاز المدخل... اسمر، طويلاً، جذاباً، وممتلئاً بالثقة بشكل ترك امواج النفور تتلاعب بحناياها وترهقها، لأنه كان من اولئك الذين يملكون كل شيء: المال، الشباب (يظهر انه لم يتجاوز الثالثة والثلاثين من عمره) القوة، والوسامة. هذا الى جانب ثقة كبيرة بالنفس.

تأملته وهو يقترب منها بقميصه الحريري الأبيض، وبدلته البنية الرائعة، وكأنه قادم من اكبر محل للأزياء الانيقة، وليس من رحلة

عبر المحيط الأطلسي. كانت تعرف انها تحتقره، لكن طبيعة عملها تفرض عليها الالتزام بحدود الأدب واللباقة، لذلك قالت له حالما اقترب منها:

- مساء الخير يا سيد سانت اوين.

اجابها ببساطة بعد ان ابتسم للمسؤول عن البناء، وفتح امامها باب المصعد:

- اشكرك يا آنسة وارنغتون على حفاظك على مواعيدك. بامكاننا الصعود الآن.

وانتهت رحلتهما القصيرة بالمصعد عند الطابق الثاني، ليفتح باب بيته ويفسح امامها المجال للدخول. فكرت: (حركة مدروسة دون شك مثل كل ما يحيط به). وتذكرت الشقة التي زارتها مرة من قبل، لا لأن فيها ما يستحق التذكر، بل لأنها زارت الكثير من الشقق امثالها اثناء عملها في المؤسسة. شقة فخمة اعدت كسكن مؤقت لرجال الأعمال الذين يأتون الى المدينة بعد ترك زوجاتهم وعائلاتهم في الريف، والانتهاء من تلبية المتطلبات العائلية الباهظة. وابتلعتها بئر افكارها: (ترى كيف يمكن ان تكون زوجة مثل هذا الرجل؟ اكيد إنها جميلة، أنيقة، وسريعة الملل. لقد قابلت الكثير من النساء من هذا النوع عندما كان والدي على قيد الحياة، حيث قضيت سنتين بعد تخرجي من المدرسة الثانوية، اقيم الحفلات لاصحابه من رجال الأعمال مع عائلاتهم، رغم عدم حبي لمثل هذه الحفلات ومدعويها. تصورت حينئذ ان روجر يختلف عن كل من عرفتهم من رجال احاطوا بوالدي خلال تلك الفترة، فقد اعتقدت انه صاحب مبادىء ومثل عليا لا دخل للمال بها. لكنني كنت مع الأسف مخطئة).

وضع دميان سانت اوين حقيبة أوراقه على منضدة امامه، وجلس قبالتها على كرسي جلدي فخم، وقد ظهر عليه التعب. امتدت يدها إلى حقيبتها لاستخراج دفتر ملاحظاتها قبل ان تقول بلباقة:

ـ اتمنى ان تكون قد قمت برحلة ناجحة يا سيدي.

وتذكرت كيف انها في المرة الماضية كانت تجلس الى المنضدة المقابلة لمجلسه، حيث طبعت له رسائله، وراحت تتأمل تلك المنضدة تاركة امامه المجال لاستجماع افكاره.

مرت دقائق دون ان يعطيها اية اوراق، او يقول اية كلمة، مما اقلقها، وتركها تتطلع باتجاهه لتلاحظ انه يتأملها بشكل بعيد عن دنيا العمل والرسائل. فكرت: (ربما يعاني من فرق الوقت بين البلاد، فذلك يؤثر تأثيراً كبيراً في قدرة الانسان على التركيز).

سمعته يقول:

ـ اتركي دفتر ملاحظاتك، ودعينا نتناول شراباً خفيفاً اولاً.

ترك مكانه لتحضير الشراب وهو يقول:

ـ ماذا تراك تفضلين؟

ـ عصير الليمون المر من فضلك.

ـ كنت افضل لك شراباً اكثر إثارة.

ـ لا شكراً، ما طلبت يكفيني.

كان شرب عصير الليمون المر هو من العادات التي اعتادت عليها منذ عملت مع المؤسسة، لأنها بحاجة دائمة الى تنشيط حواسها، وقدرتها على التركيز.

بعد ان احضر لها الشراب، استراح في كرسيه الفخم، وراح يدخن سيغاراً انتقاه من علبة ذهبية امامه، واستمر يراقب كيت،

ويتأمل حركاتها. استولت مراقبته لها، وتأمله لحركاتها على كل شعور بالراحة عندها. مما جعلها ترشف من كأس العصير امامها رشفات متلاحقة عصبية. وعندما التقت نظراتهما لفترة وجيزة، غضت طرفها خجلى: (لا اجرؤ على النظر إليه، فأنا لست سوى سكرتيرة لسيادته. ثم اني لم اعد مراهقة، وقد قابلت الكثير من اصناف الرجال من قبل، واربكني وجودي مع بعضهم، ولكن ليس بالطريقة التي اشعر بها الآن وأنا مع المليونير الكبير. اشعر وكأني بضاعة تباع وتشترى. كم اكرهه).

غضت من بصرها لكن ذلك لم يمنعها من تأمل ملابسه الأنيقة، وحذائه الباهظ الثمن: (يمكنني ان اكسو نفسي بالكثير من الملابس طوال السنة بثمن مثل هذا الحذاء).

كانت اعصابها قد بدأت تتوتر فعلاً عندما سمعته يقول:

ـ آنسة وارنغتون، أعرف أن ما سأقوله سيبدو شخصياً، ولكن لي أسبابي الخاصة لذلك. هل لديك هنا في لندن ارتباطات من أي نوع؟ زوج؟ او ربما صديق؟

صعقها بسؤاله فلم تملك إلا النطق بالحقيقة:

ـ لا يا سيدي، ليس هناك أية ارتباطات

ـ هل ما زالت لديك الرغبة القديمة القوية للذهاب الى كورن وول؟

ادهشها تذكره للحديث القصير الذي تبادلاه لدقائق قبل البدء بالعمل في العام الماضي، واظهرت فيه رغبتها بالاقامة في كورن وول، وحبها للعودة لزيارة تلك المنطقة مرة اخرى: (اتراه ادرك بحدسه يومها ما تنطوي عليه كلماتي من شوق زائد للعودة الى هناك؟ اجد ذلك صعب التصديق. . . ولكن لم الاستغراب؟ لماذا

لا يكون حدس مثل هؤلاء الرجال احد اسباب نجاحهم الباهر؟ اما اذا كانت لعبة، فلن اكون ابداً من المشتركين فيها. . .).

ـ بالتأكيد يا سيدي، من منا لا يحب الهرب من حر لندن في هذه الأيام الى رطوبة تلك المنطقة؟

ـ حسناً، اذن سأعرض عليك عرضاً.

استولى عليها الخوف، وتركها فريسة لأفكار اتعبتها: (اذن هذا هو ما يريده! كان عليّ ان اعرف انه من هذا النوع من الرجال. . عرض. . .).

وفي خلال ثوان، كانت قد هبت من مقعدها، وأضحت على اتم استعداد لترك البيت. قالت له:

ـ سيدي، لقد اتيت الى هنا لتملي عليّ رسائلك فقط. ارجو ان تسمح لي الآن بالانصراف.

ـ ما سبب هذا التوتر يا آنسة وارنغتون؟ اعتذر إذا كنت قد انتقيت كلمات غير مناسبة. دعيني اقول ان عندي مشروعاً قد يثير اهتمامك. من فضلك، عودي الى جلستك، واسمعي مني خطوات المشروع.

وانحنى يربت بأصابعه على ظهر المقعد، داعياً اياها للجلوس من جديد. اخجلها غباؤها، وعاودت الجلوس، وأمواج الكره للرجل تعلو في داخلها.

ـ هذا افضل، دعينا نبدأ من جديد، وبكلمات جديدة لا يمكن ان يساء فهمها. انت تحبين الذهاب الى كورن وول، وانا اقيم هناك وبحاجة للمساعدة التي بامكانك تقديمها لي. لذلك أرى انه من الأفضل ان نوحد جهودنا. ها هو المشروع امامك. ترى هل اعجبتك طريقة عرضه؟ هل تجدينه بريئاً بما فيه الكفاية؟

حملقت في وجهه متجاهلة السخرية التي اثقل بها كلماته وتساءلت:

- هل يعني هذا انك تعرض علي فرصة للعمل في كورن وول؟

- نعم، لكنه عمل مؤقت... لنقل لمدة شهرين، تنالين خلالها راتبك من المؤسسة مع مصاريف الاقامة والأكل في كورن وول بالطبع. يضاف الى هذا كله مكافأة قد تصل الى خمسمئة جنيه. على كل لن نتطرق لمثل هذا الموضوع الآن.

ارسلها كلامه إلى دنيا من الأحلام تعشقها: (شهران في كورن وول... ما اسعدني. لكن هل سيساعدني الذهاب على حل مشكلة مربيتي العزيزة؟)

تأملها قبل ان يسأل:

- ما رأيك؟

- في الحقيقة لا ادري... عرضك مفاجيء، لا بد من وجود سكرتيرة خاصة لك هناك.

وضاعت في دنيا الأفكار: (هل سيؤثر غيابي لمدة شهرين تأثيراً عميقاً في وضع مربيتي الحنون؟ سأكتب لها، وانصحها بالتأني قبل توقيع اي شيء. سأكشف لها عن مشاكل الايجار هنا، واعرض عليها الذهاب الى المختصين بملاحقة مثل هذه المشاكل، اذا تزايدت الضغوط عليها. والمكافأة التي يفكر باعطائي اياها مبلغ محترم لا شك... قد لا يعني له شيئاً، لكنه يعني الكثير بالنسبة الي، وخاصة اذا اضطرت مربيتي الى الانتقال... مع ذلك لا اجد نفسي مقتنعة تماماً).

افاقت من افكارها على صوته وهو يقول:

- عندي سكرتيرتي الخاصة في مكتبي في ترورو ، لكني أفكر

بسكرتيرة بيتية اذا صح التعبير، لأن وارن لندسي رجل الأعمال المعروف سيكون في انكلترا خلال هذه الفترة، وحتماً ستكون هناك ضغوط متزايدة تتعلق بمشروع ويل دورا.

بقي التردد يلف كيت فسألته:

ـ ولماذا تختارني انا بالذات؟ انا واثقة من انك ان بحثت، فستجد سكرتيرة من اهل البلدة.

تأملها، وأنعم النظر بها من رأسها حتى اخمص قدميها قبل ان يقول:

ـ اعتقد انك ممتازة لمثل هذا العمل. . . ثم انه ليس لدي الوقت لأفتش عن سكرتيرة جديدة. هل تستطيعين تجهيز نفسك لمرافقتي في رحلة الليلة؟

زحف التردد الى نبرات صوتها:

ـ يجب علي استشارة السيدة آش بروك، وتدبير الأمور في البيت الذي اعيش فيه. ثم هناك تحضير الحقائب. لا اعتقد اني. . .

نهض الى جهاز الهاتف وهو يقول:

ـ لا ارى أية مشكلة في ذلك كله. ما هو رقم هاتف السيدة آش بروك؟

راقبته وهو يدير قرص الهاتف: (لا عجب في ان هذا الرجل يسير بخطى واسعة نحو القمة. انا الآن امام إنسان يعرف كيف يصل إلى هدفه ومتى يصدر قراراته).

وسمعته يتكلم مع السيدة آش بروك بطريقة تقطر جاذبية قبل ان يسلمها سماعة الهاتف قائلاً:

ـ تكلمي معها بنفسك.

قالت لها السيدة آش بروك بحماس:

- بالطبع يمكنني الاستغناء عنك، ويسعدني كثيراً ان يكون السيد سانت اوين قد اختارك للعمل معه، فالعمل خارج المؤسسة مفيد لتوسيع الآفاق، ولسمعة المؤسسة أيضاً. اصدقك القول يا عزيزتي، ان هذا الرجل يختلف عن كل الرجال، والا ما سمحت لك بالذهاب معه للعمل.

تأملت كيت الرجل الجالس امامها قبل ان تسأل:

- هل أنت متأكدة؟

- نعم يا عزيزتي، فهو سليل عائلة كورونية عريقة. اتصلي بي عندما تعودين، وأنا واثقة من انك باجتهادك ستعطين افضل فكرة عن المؤسسة.

- ارجو ذلك يا سيدتي. استودعك الله.

وضعت كيت سماعة الهاتف مكانها، وشعور بانعدام واقعية الأوضاع حولها يعذبها. سمعته يقول:

- هل زكتني السيدة الفاضلة كما يجب؟

- اكدت انك إنسان فاضل.

- وستصدقينها طبعاً كأي موظفة مطيعة؟

آلمتها سخريته:

- لقد وافقت على العمل لديك مؤقتاً يا سيدي، وارجو ان تكون السيدة آش بروك محقة في رأيها.

عقد حاجبيه قائلاً:

- هذا ما اتمناه أنا ايضاً.

وفجأة اتخذ وضعية رجل الأعمال قائلاً:

- سنقوم الآن ببعض التنظيم، ولنبدأ ببادينغتون حيث اتمنى ان اجد لك مكاناً للنوم.

ـ استطيع النوم في أي مكان. لست من النوع الذي يهتم بمثل هذه الأمور.

ـ كلامك يدهشني. فكرتي عنك تخالف ما اسمعه الآن. على كل حال اذا لم اجد لك مكاناً، فسنؤجل الرحلة الى صباح الغد.

ـ بامكانك ان تسافر الليلة، وسألحق بك غداً.

ـ كلا يا آنستي، لا يمكنك فعل ذلك بي. فأنت الآن ملتزمة بتنفيذ اتفاقنا، وسأبقى ملازماً لك، حتى نستقل القطار سوية.

احست كيت بالعجز أمام هذا الانسان الذي لا يمكن ان تفوته اية شاردة او واردة. سمعته يبشرها بوجود مكان قائلاً:

ـ عظيم... احد المسافرين الغى رحلته.

قالت بقسوة:

ـ طبعاً... طبعاً.

احرقها بنار نظراته الثاقبة دون ان يتفوه بحرف، فغاصت في ظلمات افكارها: (يجب ان اكون اكثر حذراً في المرة القادمة، فهو ليس رجلاً سهلاً على الاطلاق).

شدتها نبرات صوته الى الواقع:

ـ جاء دورك الآن يا آنسة وارنغتون. اتصلي بفندق وسترن لحجز طاولة لاثنين، بينما انظم أنا أشيائي. يمكننا التوجه الى المحطة بعد العشاء مباشرة. اتصلي بباركر، كان ضابطاً سابقاً في البحرية، وهو فخور بذلك. هو وزوجته كنزلي. اسأليه اذا كان يستطيع تدبير سيارة لنقلنا بعد خمس دقائق. سنذهب الى بيتك لجمع اغراضك، وبعدها الى الفندق.

تركها وحدها لتفعل ما طلبه منها خطوة خطوة، وهي تتخبط في بحر افكارها: (هذا الانسان مليء بالحيوية، واثق من نفسه،

ويصعب ارضاؤه. لكن رأيي فيه لم يتغير، بل بالعكس زاد رسوخاً. اني اكره امثاله من الرجال الذين يتصورون ان من حولهم من البشر ما هم الا حجارة شطرنج يحركونها دون رحمة وفقاً لأهوائهم. وهذا ما يفعله بي السيد سانت اوين الآن. ولكن ما دمت ادرك هذا، فلا خوف عليّ من الانجراف في تياره. ولا بأس أن اخفيت احاسيسي نحوه من اجل قضاء ايام حلوة في كورن وول منبت احلامي. ولكن الى اي درجة استطيع اخفاء تلك الأحاسيس؟ الله وحده يعلم).

٢ - قطار الى الحلم...

أنزلهما سائق التاكسي امام بيت قديم في منطقة هاي غيت، فطلب منه دميان سانت اوين الانتظار، وتأبط حقيبة أوراقه الخاصة بالسفر، وتبع كيت إلى شقتها في الطابق الثاني. قالت وهي تستعد لدخول الشقة:

ـ لا بدّ لي من تحذيرك بأننا خمسة، ونقيم معاً في هذا البيت.

ـ ألا ترين في ذلك نوعاً من الازدحام؟

ـ يعجبنا الحال على ما هو عليه.

قالت ذلك ببرود قبل أن تخاطب نفسها مؤكدة: (صحيح انني احدى موظفاته، لكن ذلك لا يعطيه الحق في انتقادي. أرجو الا تكون إحدى الفتيات في الداخل).

فتحت الباب قائلة:

ـ تفضل...

وصفعتها الفوضى المجنونة التي كانت تعم غرفة الجلوس، لكنها لم تجد مفراً من القول:

ـ اجلس من فضلك، وساحاول الا اتأخر. ما نوع الشراب الذي تفضله يا ترى؟

وسخرت من نفسها: (ترى ماذا يشرب الأغنياء؟ نوعاً من انواع العصير مثلاً؟) اتخذ دميان سانت اوين مجلسه قرب الموقد قبل ان يقول:

ـ افضل تناول شرابي مع العشاء. تذكري اننا سنذهب الى الفندق متى انتهيت من تجهيز نفسك.

ـ كما تشاء، سأذهب اذن لحزم حقائبي.

وفي الغرفة التي تشارك ماكسي فيها، انزلت حقيبة سفرها الوحيدة، وهي متأكدة ان ترتيبها لن يستمر طويلاً لأنها اولاً وقبل كل شيء كانت تحب الترتيب، على العكس من صديقتها ماكسي التي تعشق الفوضى، ولا يهمها من دنياها إلا ان تكون جميلة مشرقة عندما تخرج للقاء احدهم، أو ربما لتلبية دعوة. وضعت كيت في الحقيبة كل ما يمكن ان يلزمها في رحلة كهذه، حتى الفستان الرسمي الوحيد الذي تملكه، مع انها كانت متأكدة ان الرحلة ستكون رحلة عمل فقط لا علاقة للاجتماعيات فيها. وشدتها الذكريات الى الماضي: (هذا الفستان الرسمي الموشى عمره ثلاث سنوات. اشتريته يوم كانت خزائني تغص بالثياب التي كان ابي دائماً يشجعني على شرائها، لأنها على حد قوله تظهر جمالي وتبرزه).

واحرقت نار تنهيدة عميقة صور الذكريات الحلوة، وتركتها تؤكد

لنفسها: (لا فائدة ترجى من التنهدات، فقد قلبت لي الحياة ظهر المجن، ويجب ان انصهر تماماً في بوتقة الأوضاع الجديدة التي تحيط بي).

وعادت كيت إلى الواقع مع دخول ماكسي الى الغرفة بشكل مسرحي. كانت ماكسي تحير كيت بغموضها حتى خيل لكيت ان ماكسي ذاتها لا تعرف نفسها جيداً. لكنها كانت رغم كل شيء شقراء جميلة، ذات قوام ممشوق، تشد اليها الأنظار دائماً.

عبرت ماكسي الغرفة بردائها الأسود وحذائها القرمزي الى حيث كانت حقيبة كيت مفتوحة وسألتها:

ـ ترى ما الذي تنوين فعله الآن يا كيت؟ ثم ارجوك قولي لي من هو ذلك الرجل الوسيم الذي لمحته عند دخولي ينتظر في الصالة؟ هل عرفت الحب اخيراً يا عزيزتي؟

كانت كيت معروفة بين صديقاتها في البيت بهدوئها، انطوائها، ابتعادها عن الحفلات، وترددها في الخروج مع الشبان. ومع انها كانت تحب الجميع إلّا انها لم تصارح احداهن يوماً بآلامها، او آمالها بالاقامة في كورن وول، في كوخ صغير يغفو في ظل شجرة تفاح وارفة الظلال.

ـ الوضع ليس كما تتصورين يا ماكسي. صدقيني، انا ذاهبة الى كورن وول في رحلة عمل.

أمالت ماكسي رأسها قائلة:

ـ معه هو؟ يا لها من رحلة شيقة... شيقة جداً.

ـ دروب تفكيرك ملتوية يا عزيزتي. فرحلة العمل هذه قد تستمر عدة اسابيع. اخبري جوان اني سأرسل لها شيكاً بقيمة الايجار. وأنا آسفة لأنني مضطرة لترك حصتي من العمل البيتي.

ـ لا تهتمي بشيء، وقدميني لصديقك هذا المنتظر في الخارج.

ـ من فضلك يا ماكسي، الرجل المنتظر في الخارج ليس منا. انه من الدرك الأعلى من الناس.

ـ لكنه رجل قبل كل شيء، أليس كذلك؟

هزت كيت كتفها بلامبالاة، وتقدمت ماكسي الى غرفة الجلوس بعد ان حملت حقيبتها، ومعطفها الصيفي.

حين دخلتا، نهض دميان سانت اوين لاستقبالهما بثقة بهرت كيت بوميضها. وتأمل دميان ماكسي كما يتأمل أي رجل كرسياً في غرفة.

قامت كيت بعملية التعريف، بينما كانت ماكسي تتقدم نحو السيد سانت اوين وتقول:

ـ مرحباً بك يا سيد سانت اوين.

وهربت كيت الى افكارها: (يا آلهي، انها تبالغ. دميان سانت اوين يحب ان يسيطر بقوانينه حتى على عالم النساء).

ردتها الى الواقع نبرات صوته، وهو يجيب بأدب:

ـ أهلاً بك يا آنسة كلادوين.

لم تشعر ماكسي بما شعرت به كيت، وعزت كيت ذلك الى كونها جميلة، ولا حاجة بها الى الاحساس بمثل هذه الغيوم في افقها، لكنها تبقى حساسة اكثر مما تظهر.

حاولت ماكسي ان تلفت نظر سانت اوين إلى جمال عينيها وهي تسأله:

ـ هل ستتناولان فنجاناً من القهوة قبل الذهاب؟

رد عليها:

ـ آسف، نحن على عجلة من امرنا.

لم تصدق ماكسي ان هناك من يتشامخ عليها، فأمسكت بذراعيه

قائلة:

ـ لن اترككما تذهبان، ولم يمض على وجودكما إلا القليل.

قست تقاطيع وجهه، وتطلع الى كيت قائلاً:

ـ هل انت مستعدة للذهاب يا آنسة وارنغتون؟

وسبقها الى الباب ليفتحه امامها، بعد ان حمل لها حقيبة ثيابها.

فكرت كيت: (انها المرة الأولى التي ارى فيها بصمات القسوة واضحة على وجهه. يا آلهي، ما اشد غروره؟ تخيفني امثال هذه المواقف. لكن ربما كانت ماكسي هي السبب. هذه الفتاة تثير شفقتي).

ثم تطلعت نحو ماكسي قبل ان تترك البيت وكأنها تقول:

ـ عزيزتي، قد اعذر من انذر.

ثم سارت مع دميان سانت اوين الى سيارة الأجرة المنتظرة. ساد الصمت بين الاثنين، وهما يسلكان طريق مدينة كنتش باتجاه بادينغتون.

كانت كيت لا تزال مرتبكة من تصرف ماكسي: (الم يلاحظ انها طفلة حتى في تصرفاتها؟ لماذا كان قاسياً إلى هذا الحد؟ على كل حال يجب ان اقول اي شيء دفاعاً عنها).

قالت له:

ـ انهت ماكسي دراستها مؤخراً في معهد الفنون المسرحية. وهي تبحث الآن عن دور تمثله.

ـ اهذا صحيح؟

اظهرت طريقة كلامه عن ماكسي انه نسي المسكينة تماماً، وكأنها لم تكن الا حشرة نفضها عن قميصه.

اراح رأسه على المقعد وهو يقول:

ـ يا الهي ، كم انا جائع ! اني من الذين لا يحبون طعام الطائرات. انا شخصياً لا اعتبر نفسي من البشر حتى اشبع.

همست كيت لنفسها: (بشر! هو ابعد من ان يعرف معنى الكلمة. لكن الاحساس بالجوع قد يفيده، ما دام غبياً بشكل يدفعه الى السفر حول العالم بحثاً عن مال اكثر). ونظرت اليه نظرة حقد، اضاعت هدفها لأنه كان مغمض العينين. راحت تتأمله: (كم اتمنى لو استطيع الغوص في اعماقه ومعرفته اكثر، فهو الذي سيربطني به في الأسابيع القادمة علاقة قريبة وبعيدة، عامة وخاصة. علاقة غريبة يسميها الناس... سكرتيرة خاصة).

تقاطيع وجهه القاسية لا تدل على شيء. ترى اي نوع من الرجال هو ذلك المختبىء وراء قناع المسيطر على المال... المتلاعب بمصائر الكثيرين؟ هل تراني احبه؟).

وفجأة فتح عينيه ليسألها:

ـ هل اصدرت حكمك يا آنسة؟

ـ لا افهم ما تعني.

ـ لا بل تفهمينني جيداً يا آنسة وارنغتون. فقد كنت تحاولين معرفة أي نوع من الرجال انا، أليس كذلك؟

ـ وأية غرابة في ذلك؟ يجب على السكرتيرة ان تعرف الأكثر دائماً عن الرجل الذي تعمل معه.

ـ عظيم، اعتقد انك ستكونين افضل مما تصورت. دعيني اضيء لك خطواتك الأولى على طريق معرفتي. لنبدأ بالمزاج، فأنا والحمد لله من اصحاب الأمزجة المتوازنة السعيدة. احب تحمل المسؤوليات، واسع الأفق، لطيف المعشر، دقيق في عملي، وأحب الأولاد والحيوانات. ما رأيك بكل هذا كبداية؟

ـ بداية محيّرة.

ـ تقصدين انها افضل من ان تصدق؟ حسناً، دعيني اكمل إذن. . . انا لست من النوع الذي يتعمد ايلام الناس، لأني في اغلب الأحيان انطوي تحت اجنحة الطباع الهادئة الحلوة. لكنني قد اتمسك بحبال اللؤم اذا اضطررت الى ذلك. وبالمناسبة انا لم ادخل دنيا المتزوجين بعد.

تقطعت انفاسها:

ـ انا لم اكن. . .

ـ لا ترتبكي، انه السؤال التقليدي الذي تسأله النساء كلهن للرجال حتى في عصرنا الحاضر. . . عصر المساواة.

وانهى المناقشة فجاة كما بدأها باغماض عينيه.

كادت كيت تنفجر غيظاً لكنها كتمت غيظها: (اين انا منه؟ سأبقى دائماً السكرتيرة، وسيبقى الرئيس، لكنني سأحلم دائماً بتحطيم غروره).

حين وصلا الى محطة بادينغتون، قال دميان سانت اوين:

ـ سنأخذ اولاً تذكرة سفرك والحجز.

ابتعدت كيت عنه، حتى انهى شؤونه مع المسؤول عن شباك تذاكر ركاب الدرجة الأولى، وعاد إليها بعد دقائق، يتنفس الصعداء قائلاً:

ـ كل شيء على ما يرام، يظهر اننا من المحظوظين بايجاد تذكرة الركوب، والحجز لك هذا المساء.

تطلعت اليه وهو يضع ورقة مالية من فئة الخمسة جنيهات في محفظته، قبل ان تضيع مع افكارها: (لا شك ان للمال قوة، واذا اراد الانسان ان يمتص ما يريد من رحيق زهرة الحياة، فيجب ان

يبقى من ركاب الدرجة الأولى في قطار العمر).

شدها نحو الواقع بقوله:

- والآن حانت اللحظة الحاسمة... سنأكل.

قال ذلك، واتجه الى مدخل «الفندق الغربي العظيم» الفخم، الذي تعرفه جيداً منذ ايام المدرسة الداخلية التي قضتها في بادينغتون. استرسلت في افكارها: (كنت آتي مع والدي، عندما تسمح له ظروف العمل الى هذا الفندق بالذات، لتناول العشاء او الغداء، وخاصة في المناسبات الهامة. كنت اصحب معي مربيتي الحنون التي بقيت ترافقنا حتى انهت فترة خدمتها. فبقيت آتي وحدي مع والدي. غريب ان ازور الفندق هذه المرة مع انسان لا اكاد اعرفه).

سألته وهما في طريقهما الى مطعم الفندق الخاص:

- هل تسافر بالقطار دائماً؟

- نعم، اسافر بالقطار بشكل شبه دائم لتوفير الوقت...

قاطعت:

- فالوقت من ذهب، أليس كذلك؟

وعادت الذكريات تفرض نفسها: (الوقت من ذهب، كلمات والدي التي كان يختبيء وراءها خوفاً من لسعات لومي على تركه لي وحيدة. انا متأكدة من ان حياتنا سوية، كان من الممكن ان تكون اكثر اشراقاً، لو انه اوجد الوقت الكافي ليتمتع بمباهج الحياة معي. مسكين، لقد اضاع الكثير، وهو يتخبط في دوامة العمل الهائلة).

تأملها قبل ان يجيب:

- بالتأكيد....

منع الحركيت من تناول وجبة الغداء، لكنها بمجرد ان سارت بين

الموائد، وداعبت انفها رائحة الطعام اللذيذ، ووصلت إلى اذنها النغمات الخافتة للأحاديث المتبادلة بين الموجودين، قرصها الجوع، وتذكرت انها لم تدخل امثال هذه الأماكن منذ وقت طويل.

غرق الاثنان في بحار الصمت بعد ان طلب دميان سانت اوين وجبة الأكل. فرحت كيت بأردية الصمت التي لفتها، لأنها فتحت امامها المجال واسعاً لتتأمل ما حولها. فلاحظت ان انظار النساء الموجودات تركزت على دميان سانت اوين الجالس امامها، فأكدت لنفسها: (لو كانت العواطف منبع هذه الدعوة، ولم تكن مجرد اجتماع عمل، لكنت الآن من الفخورات بأني اجالس انساناً جذاباً بهذا الشكل، لكن من الأفضل لي الآن ان اشغل نفسي بالطعام الموجود أمامي . . .).

كان دميان سانت اوين قد طلب لها قطعة من اللحم الطري، الطازج، اتتها محفوفة بالخضار المسلوقة، وثمار البطاطا المشوية. وامام هذه الوليمة التي اسالت لعابها، لم تتمالك نفسها من القول:

ـ عظيم، اشعر وكأنني طفلة جائعة.

وتراجعت الى ديار افكارها: (ما ابديت من ملاحظة لا يتناسب مع المناسبة حتماً. ترى ما الذي دفعني الى قول ذلك؟).

ورفعت رأسها اليه، لترى ابتسامة ساخرة تضيء وجهه. قال لها:

ـ لم اتصور انك تجيدين الابتسام يا آنسة وارنغتون. تأثير الوليمة واضح.

ـ نعم، انا ايضاً اعتقد ذلك.

أبقى السيد سانت اوين على جدية مظهره، مما ترك الغضب يستولي عليها: (لماذا يصر على تحقيري؟ اليس من عداد البشر؟ يجب

على الانسان ان يتوقع الكثير من مثل هؤلاء الناس، لذلك لن انطق بكلمة، ولن اعطيه الفرصة لافساد وليمتي).

غاص الاثنان في عالم الوليمة الشهية، بينما كان طائر الصمت يرفرف فوق رأسيهما بجناحيه. التجأت كيت الى افكارها: (لم يكن بامكاني الهروب من هذه الدعوة. وما دامت الدعوة قائمة في دنيا العمل، فلن اضطر لمخالطة هذا الانسان اجتماعياً. انا متأكدة من انه يعتبرني انسانة مملة، كما اعتبره انا إنساناً وقحاً).

اختطفها من أفكارها بقوله:

ـ ما رأيك بتناول فنجان من القهوة في بهو الفندق؟ لا زال امامنا متسع من الوقت يسمح لنا بالراحة قبل موعد الرحلة.

خاطبت نفسها: (لا اريد ان ارتاح في أي مكان مع هذا الانسان، رغم اني من عاشقات القهوة).

اجابته:

ـ اعذرني يا سيدي، لن استطيع مشاركتك شرب القهوة، لأنني يجب ان اكتب رسالة مستعجلة. هذا طبعاً اذا لم يكن لديك مانع.

ازاح لها الكرسي لتنهض وهو يقول:

ـ كما تريدين، سأرشدك الى الغرفة التي يكتبون فيها الرسائل.

ـ لا تزعج نفسك، اعرف طريقي جيداً.

نظر اليها بامتعاض:

ـ ستجدينني في المقهى الخاص بالفندق، واعتقد انك تعرفين طريقك الى هناك ايضاً.

ـ استطيع سؤال احدهم اذا ضللت الطريق.

تفجرت براكين الغضب في عينيه لكنه قال بلطف:

ـ افعلي ما تريدين، ثم ارجو ان تكفي عن مناداتي (سيدي)،

فالوظيفة لا تتطلب ذلك.

سارعت كيت إلى الخروج من المطعم باتجاه غرفة كتابة الرسائل وهي تتمتم: (الوظيفة لا تتطلب ذلك! الوظيفة لا تتطلب ذلك! ما الذي تتطلبه الوظيفة إذن؟). وعندما وصلت الى الغرفة المطلوبة، تهالكت على احد المقاعد، وابتدأت كتابة الرسالة: مربيتي العزيزة...

وابتلعتها دوامة الأفكار: (سأكتب لها رسالة مطولة، ناعمة، اطمئنها فيها، واطلب منها عدم الاندفاع في توقيع اي شيء حتى اصل اليها. سأخبرها اني سأتصل بها حالما استقر في كورن وول، وافسر لها لماذا اضطررت للذهاب الى هناك. سأخط رسالتي على مهل مهما استهلك ذلك من وقت. وبعد ذلك سأبحث عن مديري المحترم).

لم تضطر كيت الى البحث عن السيد سانت اوين، لأنه دخل الغرفة وهي تغلق المغلف الذي حوى رسالتها وسألها:

ـ هل انتهيت؟

ـ نعم، لقد انتهيت.

اربكها وجوده قريباً منها، فراحت تحاول إخفاء ارتباكها بمحاولة فتح محفظة نقودها لاخراج طابع بريدي للرسالة. فلما عجزت عن ذلك قال لها:

ـ اسمحي لي ان احاول.

اكدت له عندما رأت المحفظة مفتوحة:

ـ يصعب فتح قفل المحفظة في بعض الأحيان.

وراحت اصابعها تفتش بجنون عن طابع في حنايا المحفظة: (ما اغباني... لقد وضعت اخر طابع كان معي البارحة على المغلف

الذي حوى قائمة الحساب الخاصة بالغاز).

وقف قريباً منها ينتظرها بصبر، بينما كانت تحاول مقاومة جيوش الضياع، وعدم الاستقرار التي بدأت تغزو حناياها لقربه: (يا الهي، ماذا دهاني؟ هل ما اشعر به طبيعي؟)

اعادها الى بر الواقع بقوله:

ـ الم تجدي طابعاً بعد؟ خذي واحداً مما عندي.

ـ شكراً لك.

مدت يدها لتأخذ منه الطابع، فتلامست اصابعهما لثوان، ارتجفت بعدها كعصفور مبلل، واسقطت الطابع من يدها. فانحنى الاثنان لالتقاطه، فتقابلت الأيدي، وعذبها الشعور مرة اخرى.

قال لها بعد ان وضع يديه على كتفها:

ـ تمالكي نفسك يا آنسة وارنغتون. اعتقد انك فتاة طائشة. لذلك سأقوم بالمهمة عنك.

ألصق الطابع على ظهر المغلف، ووضع الرسالة في جيبه قبل ان يكمل:

ـ سنرسلها في طريقنا الى المحطة. واذا كنت على استعداد فأنا افضل الذهاب الى المحطة وركوب القطار، لأني احلم بساعات نوم طويلة.

خرجا من الغرفة سوية، بينما كانت عواصف الأفكار تتلاعب برأس كيت: (ترى لماذا القى نظرة خاطفة على اسم المرسل اليه وعنوانه، قبل ان يضع المغلف في جيبه؟ هذا التدخل السافر في حياتي الخاصة يدفعني الى الجنون... لكن يظهر انه من اولئك الذين يهتمون بدقائق امور الأشخاص الذين لهم صلة بالعمل. علي ايضاً ان اسيطر على نفسي اكثر طوال مدة ملازمتي له في الشهرين

القادمين).

انتابت كيت رعشة خفيفة وهي تدخل المحطة، فقد كانت تكره دخول المحطات في الليل. كان المكان فارغاً الا من بعض المسافرين الذين تردد صدى اصواتهم ووقع خطواتهم في ارجائه. سألها دميان سانت اوين فجأة:

ـ هل تشعرين ببرد؟ وجهك شاحب. ارجو ان تكوني بخير.

همست لنفسها: (نبرات صوته تقول انه مهتم بشأني، لكني اكاد اقسم انه اذا علم انني لست فعلاً بخير فسيزعجه ذلك كثيراً).

ـ انا بخير والحمدلله، وما تراه من شحوب هو تأثير الاضاءة فقط.

عند وصولهما الى القطار سلم دميان سانت اوين للمسؤول حقائب كيت اولاً. طارت كيت على اجنحة افكارها: (قبل ساعات قال لي انه سيبقي عينيه مفتوحتين حتى نستقل القطار، وقد فعل ذلك فعلاً. يظهر انه لا يحب المجازفة اذا كانت على صلة بالأشياء التي يرغب فيها).

قال لها:

ـ سآوي الى الفراش فوراً... اتمنى لك رحلة مريحة.

ـ ستكون كذلك، بإذن الله.

وتلاعبت بها الذكريات: (قبل ثلاث سنوات كنت انا ايضاً من ركاب الدرجة الأولى يا سيدي. لكن من الأفضل ان ابقى بالنسبة اليك تلك الموظفة البسيطة، المتعطشة للمزيد من المال).

هز رأسه قائلاً:

ـ سنلتقي في الثامنة اذن، ان شاء الله.

ابتسم لها ابتسامة حلوة، وجدت انه من الصعب عليها مقاومتها،

لكنها تمالكت نفسها قائلة:

- إن شاء الله، يا سيدي...

- اشكر لك لطفك يا آنسة وارنغتون، وتصبحين على خير.

تأملته وهو يمشي باحثاً عن غرفته: (انا متأكدة من انه لم ينم يومين كاملين. لكن خطواته لا يظهر عليها الارهاق. هناك هالة من القوة تحيط به. انه كغيره من الرجال الناجحين، يعرفون كيف يسيطرون على قدراتهم الجسمية والعقلية بشكل يؤمن لهم النجاح، ويوصلهم الى القمة. من السهل علي ان اتسرب الى اعماقك، يا سيدي، وادرسك. فقد امضيت ثلاث سنوات بين رجال امثالك. وما يهمني الآن حقاً هو انني في اقل من ثماني ساعات سأكون في كورن وول، مربض احلامي، وجنتي الصغيرة).

بعد ذلك اغتسلت كيت، واراحت نفسها في الفراش عل اثقال نهار مرهق تبتعد عنها. وحين اقترب موعد القيام بالرحلة، اشتعلت الممرات امام غرفتها بالحياة، وتعالت الأصوات وكثرت في المحطة التي كانت من قبل شبه خاوية.

تقلبت كيت بكسل في فراشها، وهي تذكّر نفسها انها في رحلة عمل رسمية ليست للترفيه. وعندما هجر النوم عيونها، استرخت في فراشها، وركبت اجنحة الخيال الى كورن وول حيث عاشت من جديد مع الأمواج المتلاطمة، والطيور، والرمال، والصخور الرطبة، والأكواخ المستكينة الى حنان السماء الزرقاء الصافية. وفجأة تلاشت كل الصور الجميلة امام صورة واحدة فرضت نفسها على عالم خيالها، صورة انسان جبار، وقوي، وواثق من نفسه، يعرف ما يريد، وكيف يصل الى ما يريد... صورة دميان سانت اوين، الانسان الذي تخاف وتكره.

وشيئاً فشيئاً عادت للاستسلام لسلطان النوم الذي ارسلها الى دنيا من الأحلام الهادئة، بينما كان القطار يشق طريقه إلى كورد وول.

٣ - ليت الجميع يفهمون!

في الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي، داعبت وجنات كيت نسائم رطبة، عليلة، منعشة اشعرتها بأنها اصبحت قاب قوسين او ادنى من جعل الحلم حقيقة.

كانت في الممر تراقب المناظر المارة بها، وقد ارتدت بنطالاً بسيطاً مع سترة سميكة دافئة. وعندما اطل دميان سانت اوين بكل وسامته وثقته، غزاها شعور غريب مثير يشبه شعور امرأة تنتظر رجلها وتفرح لقدومه. سخرت من نفسها: (ما اغباني... لا بد ان مناخ المنطقة اثر فيّ تأثيراً مضحكاً).

حين وصل اليها، حياها بقوله:

ـ صباح الخير يا آنسة وارنغتون. هل قضيت ليلة مريحة؟

لم ينتظر دميان سانت اوين ليسمع جواباً على سؤاله، بل حمل حقيبتها وتقدمها قائلاً:

ـ ارجو الا يكون وكيل اعمالي قد استغرق في النوم، لأنه من المفروض ان يكون في استقبالنا.

ـ ماذا تقول؟ وكيل اعمال؟

ـ نعم، انه الرجل الذي يقوم بكل ما لا يسمح لي الوقت بالقيام به.

تلاحقت خطواتها وراءه وهي تخاطب نفسها: (الله وحده يعلم عدد افراد الحاشية التي تنتظره في بيته).

قطع عليها حبل افكارها بقوله:

ـ عظيم، ها هو في استقبالنا.

تقدم منهما شاب قوي البنية، احمر الشعر، احتل النمش وجهه الطيب. واجهه دميان سانت اوين بقوله:

ـ وصلت في الوقت المناسب يا هيوغو، نعم ما فعلت.

ـ أحمد الله على ذلك، لأن المنبه خذلني مرة اخرى. هل كانت رحلتك ناجحة؟

ـ كانت رحلة لا بأس بها. جميل ان يعود الانسان الى منزله.

وفجأة تذكر كيت التي وقفت وراءه صامتة تنتظر. قال لها:

ـ اقدم لك وكيل أعمالي هيوغو هاريس ، يا آنسة وارنغتون.

صافحت اليد الضخمة التي امتدت اليها، وردت على ابتسامة الترحيب بالمثل قبل ان يتوجه الثلاثة الى موقف السيارات التابع للمحطة، حيث شاهدت كيت البحر لأول مرة، فتسمرت في مكانها، كأنها ترفض التصديق بأن حلمها الكبير يخطو خطواته الأولى على درب الحقيقة. انبعث كل شيء حياً في ذاكرتها... البحر بلونه

الأزرق، والمراكب تتراقص على سطحه. الصخور التي علتها الطحالب، والغيوم البيضاء المتناثرة تتراكض على صفحة السماء الزرقاء الحانية... لكنها خنقت نشوتها بما ترى عندما ذكّرت نفسها انها هنا للعمل، وليس للنزهة، واسرعت وراء الرجلين.

توقعت كيت ان تكون سيارة الرولز رويس الفضية التي لفتت انتباهها في الموقف، هي السيارة التابعة للمليونير الكبير، لكنها فوجئت بدعوة لركوب سيارة رينج روفر كانت واقفة بعد الأولى بقليل.

سأله هيوغو:

ـ هل تحب ان تقود السيارة بنفسك يا سيدي؟

وتصرّف بعد ذلك كأنه يعرف الجواب مسبقاً، فوضع حقيبة كيت في الصندوق، وقفز بعدها الى داخل السيارة حيث استقر دميان سانت اوين وراء المقود، ومد يده الى كيت لمساعدتها على الصعود قائلاً:

ـ قد تحتاجين لبعض المساعدة، فعتبة السيارة عالية بعض الشيء.

لم تستطع رفض يده الممدودة اليها، فأمسكت بها، وعلت خفقات قلبها قبل ان تتوه مع الافكار: (يد تسري القوة في عروقها. يا للغرابة... يده خشنة مع ان كل ما يحيط بها ناعم. منظره مضحك وهو بكامل اناقته وراء مقود هذه السيارة القوية، العملية).

في تلك اللحظة تبادل دميان سانت اوين التحية مع رجل غزا الشيب رأسه، وقف امام سيارة الرولز رويس يبحث عن مفاتيحها استعداداً لركوبها.

قال الرجل ملوحاً بيده:

- مرحباً دميان، لم ارك اثناء الرحلة.

- صباح الخير يا جون، كيف الأحوال؟

- كل شيء على ما يرام، الحمد لله. سمعت ان عجلة اعمالك عادت الى الدوران في تورنتو. هذا رائع. هل ستمكث هنا فترة قصيرة؟

- سابقى ما دمت استطيع ذلك.

قال الرجل قبل ان يختفي داخل سيارته الفخمة:

- انا شخصياً سأذهب الى نيوزيلاندا بعد ما يقارب الأسبوعين. في دنيانا لا مجال للراحة. على فكرة، قد اصطحب كارول معي في هذه الرحلة. ستسر كثيراً لنبأ عودتك. سنجتمع حتماً قبل ان تغادرنا مرة اخرى. استودعك الله الآن.

ساد صمت ثقيل بين افراد المجموعة بعد ذهاب الرجل، وقبل ان تتحرك السيارة قال دميان سانت اوين:

- جون جار لي، ومعروف في دنيا صناعة الخزف، أليس كذلك يا هيوغو؟

- هو كذلك بالفعل.

لكن كيت حامت بأفكارها حول كارول: (ترى من تكون كارول هذه؟ اهي زوجة الرجل، ام ابنته؟ لا بد انها ابنته حتى يسعدها نبأ وصول دميان سانت اوين بعد غياب. هذا الرجل جذاب، ولا غرابة في ان تحوم كل الفتيات حوله يطلبن وده، وشغل قلبه. ترى هل ستتغير حاله اذا ما عرف الحب يوماً؟) قاومت تيار افكارها: (ما افكر به عار عليّ. فالفتيات الخلوقات لا يفكرن بالرجال على هذا الشكل).

سمعته يقول:

- سنذهب الى الشاطىء عبر منطقة مرازيون.
اربكها تسلل صوته عبر الصمت ليداعب سمعها:
- الآنسة وارنغتون تعشق منظر البحر، أليس كذلك؟
- نعم...
واستدارت لمخاطبة هيوغو:
- قضيت هنا إجازة لا تنسى عندما كنت طفلة. ومنذ ذلك الحين وأنا أحلم بالعودة. لكن الظروف كانت طوال هذه الفترة حجر عثرة في طريق تحقيق حلمي. لقد فاتني ان اذكر ايضاً ان امي كورونية الأصل.
فرح هيوغو بالحديث عن كورن وول. وعندما وصلوا قريباً من مرازيون النائمة على كتف البحر بمرتفعاتها الرملية، والقصر المشيد على احداها، جعل يروي لها قصصاً تاريخية عن هذا القصر وساكنيه الى ان قال:
- يستطيع السيد سانت اوين الخوض في تاريخ المنطقة اكثر مني، فهو خبير بالتاريخ الكوروني.
لكن دميان سانت اوين التزم حدود الصمت، بينما تقوقعت كيت مع افكارها: (لم اتصور انه يملك من الوقت ما يسمح له بالاستراحة مع التاريخ. ها نحن ندخل مدينة مرازيون الصغيرة. الناس قلائل في هذه الساعة من الصباح، والسيارة تتحرك ببطء في الأزقة الضيقة، المتعرجة. يظهر ان اهتمام السيد سانت اوين منصبّ الآن على القيادة... هناك شيء واحد يحيرني. لماذا لم يقل لهيوغو اني سكرتيرته الخاصة عندما قام بتعريفنا؟ تصرفات هيوغو تدل على انه يعتبرني صديقة لهذا الرجل، قادمة في زيارة. على كل حال لن اشغل نفسي الآن، وسأتمتع بهذه النزهة المنعشة غير المتوقعة).

اخيراً وصلت بهم السيارة الى وسط كورن ورل، المنطقة التي لم تمسها يد انسان بعد فتشوه جمال طبيعتها باسم السياحة. تأملت كيت ما حولها بشغف، وداعبت قلبها نسائم الفرحة بالعودة الى مهد ذكرياتها الحلوة.

اتاها صوته مشبعاً بالسخرية:

- هل علت المنطقة الى مستوى احلامك؟

- نعم، كل ما حولي جميل رائع... اني اعني ما اقول.

- اعرف ذلك، لأني اشعر بشعورك في كل مرة اعود بها الى هنا. أليس كذلك، يا هيوغو؟

عادت كيت الى افكارها: (كلماته مؤثرة... اشعر بالاعجاب به يستولي على كياني. لكني يجب ان اقاوم اعجابي بهذا الشخص رغم كل ما يتحلى به من صفات. فأنا هنا للعمل فقط).

سمعت هيوغو يقول:

- نعم، يا سيدتي. جميعنا كورونيون طيبون يا آنسة وارنغتون.

سألها هميان سانت اوين:

- هل اقتنعت الآن يا كيت؟

ارتدت الى عالم افكارها المضطربة: (لأول مرة يناديني باسمي الأول... كيف عرفه؟ لا بد انه سأل السيدة آش بروك. لماذا انسى انه رجل يدرس كل خطواته؟ مناداتي باسمي الأول لا تعني شيئاً. فلماذا انا مضطربة إذن؟).

عندما ذكرت السيدة آش بروك لكيت ان هميان سانت اوين سليل عائلة عريقة، توقعت كيت ان يكون بيته تاريخياً، قديم الطراز. كان الممر الذي تعبره السيارة طويلاً، مليئاً بالحصى، تحيط الأزهار بطرفيه. لكن هندسة البيت فاجأتها بكونها هندسة حديثة.

كان بيتاً رائعاً، وفخماً، لكنه لا يمت للعراقة بصلة. انزوت مع افكارها: (هل هذه فكرة السيد سانت اوين عن بيوت الأغنياء؟).

توقفت السيارة امام البيت، ونزلت كيت قبل ان يصل إليها دميان سانت اوين للمساعدة، هرباً من تأثير ذلك فيها. فقال لها:

ـ يظهر انك استقلالية بطبعك. اتكرهين تقبل المساعدة الى هذا الحد؟

التزمت كيت بالصمت بينما كانت فكرة واحدة تسيطر عليها: (بل اهرب منها اذا اتت منك!).

انقذ كيت من التفتيش عن جواب للسؤال ظهور كلب ضخم اسود سارع لتحية دميان سانت اوين بحرارة. داعبه دميان صارخاً:

ـ هل تفتقدني يا جيت الى هذا الحد؟ يا لك من كلب وفيّ.

ـ لقد ازعج ماريان كثيراً في اليوم الأول لرحيلك، فقد اضرب عن الطعام تماماً.

ـ حديثك عن الطعام يذكرني بوجبة الفطور. هل تناولت الفطور، يا ميوغو؟

ـ اعدت ماريان وجبة سمك قبل ان اذهب الى المحطة لاستقبالكما.

ـ سمك الماكريل عظيم، وهل بقي منه شيء لنا؟ تعالي يا كيت، لنذهب ونستطلع الأمور بانفسنا. هل تحبين سمك الماكريل؟

اجابت بأدب:

ـ احبه كثيراً.

ـ بقدر حبك للحم؟

هذه الملاحظة ذكرت كيت بماض قريب: (ليلة امس قال لي: ارى انك باستطاعتك الابتسام يا آنسة وارنغتون. وفي كلامه الآن

دعوة غير مباشرة للتخلي عن الجدية. لكني لن اتخلى عن الجدية التي تتطلبها وظيفتي لمجرد انه يرغب في ذلك).

عندما يئس دميان سانت اوين من تجاوبها مع دعوته لنبذ الجدية، حول دفة اهتمامه الى هيوغو:

- افضّل استعمال سيارة الديملر في ترورو. فهي انسب للاستعمال إبان اجتماع المديرين.

- كما تريد، يا سيدي.

قفز هيوغو وراء مقود السيارة، وصعد الكلب معه بأمر من السيد سانت اوين الذي حمل حقيبة كيت، ودعاها الى دخول البيت بقوله:

- بامكاننا دخول البيت الآن يا آنسة وارنغتون.

كان البيت من الداخل رائعاً بلمسات الحداثة الواضحة في ارجائه. كانت الغرفة على مستويين، مكسوة بالسجاد السميك، وقد تناثرت في انحائها ارائك مريحة، وضعت في اماكن حفرت على شكل كهوف. اما على مستوى الغرفة الأعلى، فقد وضعت مائدة للطعام امام نافذة كبيرة، واسعة، مطلة على الحديقة بمناظرها الأخاذة: (غرفة رائعة، لكن كل شيء في هذا المكان لا يتناسب مع افكاري عن المنطقة، الا اني لن اتدخل في امور لا تعنيني).

واعادها الى الواقع ظهور امرأة بملابس زرقاء، تقدمت منهما مرحبة:

- حمداً لله على سلامتك يا دميان، وأهلاً بك في بيتك. طعام الفطور جاهز، اذا كنتما جائعين.

- نكاد نموت جوعاً. كيت، اقدم لك ماريان هاريس، زوجة هيوغو التي تعرف معنى الشهية الكورونية للأكل. ماريان، اقدم لك كيت وارنغتون، التي ستقيم معنا طوال فترة وجودي هنا. آسف لأني

لم اخبرك بوصولها مسبقاً. لكن مجيئها كان بحد ذاته مفاجأة. اليس كذلك يا كيت؟

تأملت كيت ماريان: (امرأة جميلة في اواخر العقد الثاني، او ربما اوائل العقد الثالث من عمرها. ذات عينين زرقاوين، وشعر فاتح).

ابتسمت ماريان مرحبة بكيت وقالت:

ـ سأضع الفطور على المنضدة خلال دقائق. اجلسا... او ربما تريد الآنسة وارنغتون الصعود الى غرفتها؟

قال دميان:

ـ سأصعد انا معها الى غرفتها. الغرفة البيضاء، اليس كذلك؟ هيا بنا يا كيت. من الأفضل ان تستقري في غرفتك اولاً، ثم نتناول طعام الفطور.

صعدت معه الدرجات المؤدية الى الغرفة، وفي رأسها تدور افكار عديدة: (غريب انِ يعيش مثل هذا الغني الكبير في محيط بعيد عن الرسميات. أين هي حاشية الخدم التي تخيلت وجودها وانا في طريقي الى هنا؟ الخدم موجودون حتى في عصرنا الحاضر، لمن يستطيع ان يدفع).

تسلل بصوته الى افكارها:

ـ ها نحن قد وصلنا.

وفتح امامها باب غرفة نوم رائعة بهرت كيت بلونها العاجي ونافذتها الكبيرة المطلة على المروج.

سألها:

ـ هل تعتقدين انك ستكونين مرتاحة هنا؟ هل ترين الغرفة مناسبة؟

ـ انها غرفة جميلة جداً، يا سيد سانت اوين، وتناسبني تماماً.

ـ انزلي للأكل حالما تصبحين جاهزة. وتأكدي اني لن انتظرك اكثر من ثلاث دقائق .-نزلت كيت بعد ثلاث دقائق لتجده على مائدة الطعام امام النافذة، يقلب حزمة من الرسائل امامه.

نهض على قدميه حين رآها قادمة، فكرت: (هذا الرجل قوي الجاذبية، وأرى انه في بيته قد اطلق لنفسه العنان اكثر . . .) قاومت اعجابها: (تذكري يا كيت انك هنا للعمل، ويجب ان تبقي على جدية مظهرك، والا وقعت في حب هذا الرجل بسهولة).

تألفت وجبة الفطور من سمك وخبز طازج ومربى البرتقال مع قهوة.

قال متفاخراً:

ـ المربى البيتية من اختصاص ماريان. في الحقيقة انا لا ادري اذا كنت استطيع تدبير اموري بدونها مع هيوغو. يرعبني التفكير بانها قد يتركان هذا البيت في يوم من الأيام.

انسحبت كيت الى جنان افكارها: (معه الحق في ان يقلق، فحياته البيتية تسير وفق نظام رائع، خال من الرسميات. والفضل في ذلك يعود حتماً الى هيوغو وزوجته، فهما من النوع الذي يناسبه تماماً).

عادت اليه تسأله:

ـ هل يعيش معك هنا احد أفراد العائلة يا سيد سانت اورين؟

واطفأت شعاع الاستغراب في عينيه حين اكملت:

ـ لا اقصد التدخل في ما لا يعنيني يا سيدي. لكني اسألك حتى استطيع السيطرة على تحركاتي.

ـ اعرف ذلك. إن الشخصين اللذين ستريهما كثيراً طوال مدة اقامتنا، هما هيوغو وزوجته. اما باقي افراد العائلة فموزعون بين

واشنطن في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث لي شقيقة متزوجة، واسكتلندا حيث تسكن شقيقتي الثانية مع زوجها. اما أخي الأصغر مايكل فيدرس اصول التنقيب عن المعادن، وهو غائب الآن في رحلة تدريبية في المنطقة الشمالية. وهناك جوسلين، صغيرة العائلة التي تكاد تنهي سنتها الأخيرة في المدرسة الداخلية. قد تشعرين بالملل هنا، لكن مع الأسف ليس لدي الوقت لأي نوع من انواع الحياة الاجتماعية.

اكدت له كيت:

- انا هنا لأعمل يا سيدي.

- اعرف، والآن استأذنك في القاء نظرة على الرسائل المتراكمة وانا اكمل فطوري.

وحل الصمت ضيفاً هربت منه كيت الى افكارها: (يسير كل شيء حتى الآن بعكس توقعاتي. فقد تصورت مثلاً، اني سأتناول طعامي وحدي في الغرفة، او ربما مع الحاشية. لكن يظهر ان الأمور هنا لا تسير على هذا النحو... ما اعيشه الآن يعطيني فرصة رائعة للتعرف على اشخاص جدد، وكسب صداقات حلوة. فأنا لست من النوع المنطوي كما كانت تعتقد الصديقات في لندن. لكني كنت حذرة في علاقاتي مع الرجال، خاصة اصحاب العقول المشغولة دائماً بالعمل، وذلك بعد ان فشلت علاقتي مع روجر. السيد سانت اوين لن يكون يوماً صديقاً، لكن استطيع مثلاً ان اكسب صداقة هيوغو وزوجته، فهما لطيفان للغاية. المهم ان اعيش هنا صفحة جديدة، وهادئة، من صفحات حياتي).

تساءل السيد سانت اوين بعد ان انتهى من شرب قهوته:

- هل انتهيت؟ سأريك غرفة المكتبة قبل ان اذهب. انا متأكد من

انها ستعجبك، فهي صغيرة، ودافئة مثلك. . .

غلت مراجل الغضب في داخلها: (كفاك سخرية يا سيدي. فأنا لست صغيرة، بل على العكس أميل الى الطول).

ولما لم تجب تنهد قائلاً:

ـ كان ما قلته مجرد دعابة. . . اخبريني يا كيت، هل انت دائماً هكذا، هادئة، منطوية؟ ام ان الشك ما زال يعذبك بشأني وبشأن رحلتنا معاً؟

تعالت خفقات قلبها وهي تتأمل وجهه: (ما افظع تأثير هاتين العينين عليّ!).

اشاحت بوجهها قائلة:

ـ أنا مجرد سكرتيرة مؤقتة يا سيدي.

ـ هل قلت شخصياً شيئاً كهذا؟

وبحثت حيرى في طيات الماضي عما قاله لها في بيته في لندن، لكن عبثاً. لم تتذكر سوى رجل قوي، جبار، املى عليها ارادته. ارتبكت:

ـ لكنه الوضع الطبيعي، اليس كذلك؟

ـ كفاك ارتباكاً يا كيت، فأنا لست ذا اللحية الزرقاء، ولا توجد مقصلة في هذا البيت.

كانا قد وصلا الى غرفة المكتبة حين قال:

ـ هذه هي غرفة المكتبة التي كلمتك عنها. تصرفي وكأنك في بيتك، وسأذهب انا الى الاجتماع. ستساعدك ماريان في استكشاف المكان، ويمكنك ان تطلبي منها ما تريدين.

ـ وماذا بشأن العمل يا سيدي؟

ـ لا تتعجلي الأمور. ستبقين اليوم دون عمل، لكن ينتظرك الكثير

في الأسبوع القادم عندما يصل الشخص الذي انتظره. تناسي كل شيء الآن، وجددي قصة حبك.

ـ ماذا تقول؟

ـ حبك لكورن وول.

تأملت الغرفة بعد انصرافه لتجدها كما وصفها بالفعل: صغيرة، دافئة، على أرضها سجادة تركية الصنع، وتناثرت في ارجائها مقاعد جلدية. هذا عدا رفوف متعددة للكتب احتلت حائطاً كاملاً، والعديد من الرسوم الزيتية المعلقة هنا وهناك لتزيد من جمال المكان. تأملت المروج الخضراء طويلاً قبل ان تعاودها ذكرى لندن بزحامها وحرها الشديد في مثل هذه الساعة من النهار: (انا محظوظة لكوني هنا، ولن اسمح لمديري بافساد فترة قد تكون من احلى فترات حياتي).

تركت النافذة لتفحص الآلة الكاتبة الموجودة على المنضدة امامها: (الآلة الكاتبة تحتاج لبعض التنظيف. والأوراق صفراء، قديمة. ليس هناك علائم على ان هناك عملاً ينتظرني. اذن ماذا افعل هنا؟ الكتب الموجودة تستحق القراءة، وسأفعل ذلك فيما بعد).

كانت تتأمل اللوحات عندما دخلت ماريان الغرفة قائلة:

ـ ما زلت تستكشفين الأشياء حولك، أليس كذلك؟

ـ كنت اتأمل هذه اللوحة. هل هي لبيت العائلة القديم؟

ـ صدقت، البيت الذي تمثله الصورة بقي بيت العائلة لمئات السنين. لكن السيد سانت اوين اصر على هدمه واستبداله بهذا البيت السهل الادارة.

ضجت الأفكار في رأس كيت: (كيف امكنه هدم مثل هذا التراث التاريخي؟ لا شك انه مثل روجر، لا يحب القديم، وسيسخر

مني حتماً اذا صارحته بحبي لكل ما هو عتيق).

ـ هل انت هنا منذ زمن بعيد؟ اتراك سعيدة بوجودك في هذا البيت؟

ـ نحن هنا منذ ثلاث سنوات. وهيوغو سعيد جداً بالعمل مع السيد سانت اوين.

كانت اجابتها جافة، لكنها اعتذرت قائلة:

ـ آسفة على طريقتي في الكلام. لكني مثل اي زوجة في العالم، احلم ببيت خاص اقيم فيه مع زوجي. كان زوجي قبل سنوات مستقلاً في عمله، لكن الرياح احياناً تجري بما لا تشتهي السفن، لذلك اضطر للاستدانة من المحيطين به. ولما تهاوى عالمنا تماماً، كان السيد سانت اوين اول من مد يد العون. فعرض على هيوغو الوظيفة التي يشغلها، وانتقلنا لنعيش معه هنا.

ـ لا لزوم للاعتذار، فأنا احس تماماً بما تعانين.

فكرت كيت ساخرة: (السيد سانت اوين موجود دائماً لاغاثة الملهوف، واراحة المتعب!)

قالت لها ماريان:

ـ لن اثقل عليك اكثر مما فعلت سأتركك الآن، فعليّ مراقبة فتاة ستقوم بالأعمال المنزلية. هل تريدين أي شيء مني قبل ان اذهب يا آنسة وارنغتون؟

ـ لا، شكراً لك... وارجوك لا تناديني الآنسة وارنغتون. فأنا موظفة مثلك.

علت الدهشة وجه ماريان:

ـ طبعاً، طبعاً...

عادت كيت الى خضم افكارها: (اتيت إلى هنا لأعمل سكرتيرة

خاصة للسيد سانت اوين. ترى ماذا قال لهؤلاء الناس عني؟ ولماذا كل هذه الدهشة؟)

اوضحت ماريان:

- انا سكرتيرة السيد سانت اوين الخاصة. الم يقل لكم ذلك؟

ضحكت ماريان:

- في الحقيقة... اتصل السيد سانت اوين بهيوغو البارحة، ولم يعطني هيوغو تفسيراً كافياً عن الوضع. ما اغباني! على كل انا على اتم الاستعداد لمساعدتك. سآتيك ببعض القهوة بعد قليل.

- اين تشربين قهوتك؟

- في المطبخ.

- اذاً سأشربها معك هناك. هل بإمكاني استعمال جهاز الهاتف؟ يجب ان اتصل بمدينة بريستول.

خاطبت نفسها: (عليّ ان افي بوعدي، واخبر المربية بمكاني).

- طبعاً يا آنسة، بإمكانك استعمال الهاتف، وطلب من تريدين.

اغلقت ماريان باب الغرفة وراءها، وتركت كيت تطلب رقم بيت المربية في بريستول: (لا شك انها تقوم الآن بعملها المنزلي المعتاد. سيسرها سماع خبر وجودي في كورن وول، لأنها تعرف مدى حبي للمنطقة، وحلمي بأن نسكن معاً في احد اكواخها. الهاتف يرن في منزلها، لكنها لا تجيب. سأحاول مرة اخرى. لا احد يجيب... لا حاجة للقلق... ربما كانت عند احد الجيران، او فلنقل ذهبت لتأتي بأغراضها من السوق قبل اشتداد الحرارة. سأتصل بها عندما اعود من نزهتي...).

خرجت كيت للقيام بنزهتها ومطارق القلق تضرب رأسها دون رحمة. وفجأة توقفت سيارة حمراء مسرعة امام الباب، فتسمرت كيت

في مكانها.

نزلت من السيارة فتاة في الثامنة عشرة من عمرها، خضراء العينين ، شقراء الشعر، جميلة، هيفاء القد، ترتدي ملابس رياضية اظهرت جمالها.

اقتربت منها كيت قائلة:

ـ صباح الخير.

ـ اهلاً . . . انا كارول اوليفر. اخبرني والدي ان دميان وصل من لندن بصحبة فتاة، فجئت لألقي نظرة عليك.

كلام كارول الجارح كشف نوعيتها امام كيت: (فتاة غنية، جميلة، مدللة ووقحة دون اي شك).

تأملت كارول قبل ان تقول:

ـ انا سكرتيرة السيد سانت اوين الخاصة.

ـ مفهوم. . . . مفهوم. فكرة من كانت هذه؟ فكرتك ام فكرة دميان؟

ـ انت مخطئة، يا آنسة اوليفر.

ـ ارجو ان اكون كذلك، فأنا هنا لتحذيرك بأننا لسنا في مجال منافسة، حتى وإن اتى بك الى بيته.

ـ لا افهم ما الذي تقصدينه بالضبط.

ـ لقد اوضحت لك قصدي بما فيه الكفاية. ومظهرك لا يوحي بالغباء.

ـ ما الذي تريدين قوله؟

ـ عزيزتي. . . انا هنا لأقول لك بانه لا امل يرجى لامثالك مع دميان سانت اوين، لأنه رجلي انا، وسنتزوج حالما نجد الوقت الكافي لذلك، فزواجنا فيه محافظة على سلالة العائلتين. لذلك ارى انك

تضيعين وقتك هنا.

ـ اهذا كل ما تودين قوله؟

ـ حالياً نعم... اين هو؟

ـ انا شخصياً لا اعرف اين دميان.

ـ أليست معرفة تحركاته من واجباتك، يا آنستي؟!

بعدها تركت كيت كارول، وتابعت تجوالها بين المروج: (انا منهكة، ضعيفة... اني اكره هذا النوع من الاجتماعات. لست سوى سكرتيرة للسيد سانت أوين. ليت الجميع يفهمون ذلك لأرتاح. ربما كان من عادته أن يأتي بالفتيات الى هنا. وماذا يهمني من عاداته! المهم أني لست من ذاك الصنف، وسأطالبه بتفسير مقنع لوضعي حالما يعود).

لكن التفكير بعينيه الرائعتين اللتين ستضيع في عالمهما حين ستواجهه، عذبها، وأقلقها، وفتت عزيمتها. إلا ان قدميها ظلتا تقودانها عبر المروج، حيث تمنت ان تستجمع شتات شجاعتها.

٤ - ماذا يريد؟

سارت كيت بين المروج الزمردية ساعة كاملة، استطاعت خلالها تهدئة براكين اعصابها التي ثارت بعد اجتماعها بكارول. كان بودها التوغل اكثر في قلب المروج، لكن خوفها من الضياع في تلك المنطقة غير المأهولة جعلها تعود ادراجها الى البيت.

لامست الشمس وجهها باشعتها الفضية الدافئة، وتلاعبت نسيمات الهواء بخصلات شعرها، لكن جراح الاجتماع مع كارول بقيت تنزف: (يجب علي تناسي الأمر... قولها سنتزوج متى سمح لنا الوقت بذلك لا يعني شيئاً. حتى اذا كان يحمل بين طياته اي صلة بالحقيقة، فالطيور على اشكالها تقع... المهم انني هنا في المنطقة التي احب، وعلي ان احتفظ لهذه الفترة بذكريات لا تنسى).

صحت من غيبوبة افكارها لتجد نفسها بين اكواخ ريفية صغيرة، تحيط بكل واحد منها حديقة حلوة تزيد من رونقه. كانت منطقة الأكواخ مفعمة بالحياة التي تجلت في صراخ الأولاد، ورائحة الطعام. استوقفها كوخ لا حياة فيه، راحت تتأمله قبل ان تفاجئها صاحبة الكوخ المجاور له، فحيتها كيت بقولها:

ـ صباح الخير.

ردت السيدة التحية بابتسامة طيبة، شجعت كيت على سؤالها:

ـ هل تعرفين يا سيدتي، اذا كان هذا الكوخ للبيع؟

ـ لا اعتقد ان احداً شغله منذ ان تركه السيد فوربس، وذهب ليستقر في كامبورن مع زوجته... ولا اعتقد ان هذا الكوخ للبيع. باستطاعتك استئجاره ان اردت. فصاحب هذه الأراضي، السيد دميان سانت اورين، يكره فكرة البيع.

شكرت كيت السيدة على تفضلها بالاجابة على سؤالها، واكملت طريقها نحو البيت: (كان يجب ان اعرف ان السيد سانت اورين يملك هذه المساحات الشاسعة من الأراضي. لا ريب انه قد يهدم هذه الأكواخ القديمة الجميلة يوماً، ليبني مكانها بيوتاً حديثة اذا اكتشف ان ذلك سيعود عليه بنفع مادي).

كانت عملية تنظيف البيت ما زالت على قدم وساق حين عادت كيت الى المنزل. اعتذرت ماريان:

ـ لقد تناولنا القهوة قبل قليل... لكنني تركت لك بعضاً منها في السخانة.

شربت كيت فنجاناً من القهوة في المطبخ، وهي تحدث ماريان عن نزهتها في المروج. كان المطبخ واسعاً، حديثاً ومجهزاً بكل ما يمكن ان تتطلبه سيدة البيت. بعد ذلك صعدت كيت الى غرفتها العاجية

الرائعة، لتخلو بنفسها قليلاً قبل مجيء سيد البيت. استحمت للاسترخاء اكثر، ولبست فستاناً قطنياً اصفر، قبل ان ترتب شعرها الداكن، وتجمل وجهها بعض الشيء: (اصبحت الآن مستعدة للعمل. يجب الا انسى ايضاً مطالبة السيد سانت اوين بتفسير منطقي لوضعي هنا عندما اقابله على مائدة الغداء. لكن كيف سأفاتحه بالموضوع؟ يا سيد سانت اوين يجب... لا. اسلوب الأمر لا ينفع مع هؤلاء الناس. يا سيد سانت اوين لقد احرجتني، وانا اصر... لا، هذه الطريقة بعيدة عن اللياقة. يا سيد سانت اوين ارجو الا يزعجك سؤالي عن... لا، في هذا نوع من الضعف. لا لزوم لأن اشغل نفسي بالتفكير. سأترك زمام اموري للظروف... من الأفضل ان اتصل بمربيتي مرة اخرى).

تأكدت مخاوف كيت عندما سمعت صوت المربية عبر الهاتف:

- آنسة كيت... الحمد لله على اتصالك. حاولت مكالمتك البارحة مساء في البيت، فقالت احدى الآنسات هناك انك في كورن وول، ولم تتركي اي عنوان.

- لماذا حاولت الاتصال بي البارحة يا عزيزتي؟ ما الذي حدث؟ لقد كتبت لك رسالة اشرح فيها مكان وجودي وظروفي الحالية. هل كل شيء على ما يرام؟ اجيبيني، ارجوك.

- آنسة كيت، اتى ابن اخت السيدة غراي البارحة لزيارتي، واقناعي بترك البيت. ولقد مر بي صباح اليوم، واخذني الى المحامي الذي افهمني ان المرحومة اختي هي صاحبة عقد الايجار. اما انا فلا املك شيئاً. لذلك علي ان اترك البيت فوراً. ووعدني ابن اخت السيدة غراي ان يجد لي غرفة تأويني، فلا تقلقي بشأني.

- عزيزتي، انا قادمة اليك لتسوية الأمور. ارجوك، عديني الا

توقعي اية اوراق قبل وصولي. سأراجع قائمة الرحلات الى بريستول، ثم اعلمك بساعة وصولي الى المحطة.

اعادت سماعة الهاتف الى مكانها، واستسلمت لطعنات خنجر الأفكار: (يا الهي، كم اكره مثل هذه الأوضاع. المحامي والمالك يوحدان جهودهما لاخراج عجوز مسكينة من بيتها، ويعدونها بغرفة صغيرة في مكان ما. لا وألف لا . . . لن يحدث هذا لمربيتي الحنون ما دمت حية).

وفجأة احست كيت بوجود دميان سانت اوين في الغرفة معها بكل اناقته، ثقته بنفسه، ووسامته. قال لها:

ـ تبدين عصبية المزاج!

نهضت قائلة:

ـ اعذرني يا سيد سانت اوين، فأنا مضطرة للذهاب الى بريستول في اقرب وقت ممكن، لأن هناك بعض الأمور التي لا بد لي من تسويتها.

ـ هل ستذهبين الى هناك لمساعدة مريض، او لوداع مشرف على الموت مثلاً، لا سمح الله؟

ـ ليست الحال كما تتصور، لكن . . .

ـ عظيم. كل ما عدا ذلك يمكن تدبيره. سنحاول حل مشكلتك على مائدة الغداء. هيا بنا. لقد قامت ماريان بتحضير كل شيء.

احاط كتفها بذراعه مما اشعرها بضعفها، وبحاجتها لرجل قوي يقف الى جانبها، يحميها ويخفف عنها. لكنها قاومت مشاعرها: (من السخف ان اتصور ان مثل هذا الانسان قد يهتم بمشكلة تدبير سكن لامرأة عجوز. . .).

عندما وصلا الى المائدة سمعته يقول:

ـ تتناول ماريان وجبة الغداء مع الفتاة التي اتت لمساعدتها. اعتقد ان وجبة غدائنا لذيذة.

كان ذهن كيت مشغولاً عن صحن الخضار الشهي امامها، رددت:

ـ نعم، اعتقد ذلك.

تنهد دميان سانت اوين قائلاً:

ـ افصحي عما يدور في رأسك، والا حرمت من التمتع بهذه الوجبة الشهية. صارحيني بالمشكلة التي ستلغين بسببها اتفاقنا.

ـ المشكلة عائلية عاجلة، وتفاصيلها المعقدة لا تهمك... يجب ان اذهب.

ـ صارحيني اولاً... ربما تمكنت من مساعدتك.

ـ حسناً، اذا كان هذا ما تريد. المشكلة مشكلة صديقة قديمة لعائلتي احبها واحترمها. تعيش المسكينة في بيت في بريستول يحاول المالك ومحاميه اخراجها منه، على اساس انها لا تملك عقداً للايجار.

ـ حتى المالك لا يملك الحق بتشريد الناس.

ـ هذا صحيح، لكنها انسانة طيبة، مسالمة، ولا تعرف معنى المهاوي القانونية.

ـ وانت... هل تعرفينها؟

ـ ليس تماماً. لكن يمكنني ان امنعها من وضعها في غرفة رطبة، متهدمة.

ـ تناولي طعامك، ودعيني افكر في حل.

ـ لا تتعب نفسك بالتفكير.

ـ افعلي ما طلبته منك.

نادتها افكارها: (لا بد من ذهابي، سأطلب نصيحته، فهو

صاحب عقارات. . . لن يستطيع فعل شيء اكثر من ذلك لحل المشكلة الشائكة).

قال لها بعد ان طال صمته:

- هل تستطيع صديقتك تقبّل تغيّر جذري في حياتها؟

- طبعاً، فهي تحكّم عقلها في كل الأمور. وقد اقامت في بريستول لأن اجارات البيوت فيها تتناسب مع دخلها المحدود. المشكلة الآن تنحصر في البحث عن شقة لها. استطيع ان اتفهم وضع مالك البيت تماماً، فهو لن يتمكن من بيعه بالثمن الذي يريد الا اذا خرج المستأجر منه.

قاطعها:

- تناسي تماماً وجهة نظر الطرف الآخر. في دنيا العمل اذا لم تكوني ذئبة، اكلتك الذئاب.

- انا لا احب عالمكم، واكره الذين يسيرون في دروبه.

- اذا كان هذا شعورك فعلاً، فلماذا اخترت السكرتارية اذن؟ على كل حال هناك موضوع اهم يجب ان نعود اليه. تستطيع صديقتك الانتقال للاقامة هنا.

- هنا! تقصد. . .

- اقصد ان لدي كوخاً فارغاً شغله صديق لي حتى تزوج. تستطيع صديقتك ان تسكنه اذا كانت تحب العيش في الريف. اليس هذا حلاً مناسباً؟

عقدت الفرحة لسانها، فلما استعجلها بالجواب اعتذرت قائلة:

- اعتذر يا سيدي اذا كنت قد تأخرت في الاجابة على سؤالك، لكن فرحتي بهذا الحل الممتاز اكبر من ان توصف. انا واثقة من حبها للاقامة في الريف. على كل سأسألها. لا بد ان الكوخ المقصود هو

الكوخ الفارغ الذي مررت به هذا الصباح.
ـ ذلك هو الكوخ المقصود فعلاً.
ـ سأتصل بها حالاً اذا سمحت، لأنني اتوق لسماع جوابها.
اتخذت طريقها الى الهاتف بينما كانت الأحلام الحلوة تدغدغ احاسيسها: (سأعيش في هذا الكوخ الصغير مع المربية. لن اضطر للعودة الى لندن بعد الآن. سأجد وظيفة في ترورو او بنزانس، ثم اشتري سيارة مستعملة...).
عادت الى الواقع مع سؤال:
ـ نسيت ان اسألك عن الايجار.
ـ هيوغو هو المهتم بمثل هذه الأمور. يمكنها توقيع عقد ايجار مدى الحياة.
حملت الفرحة كيت على اجنحتها:
ـ هذا لطف كبير منك. شكراً... شكراً جزيلاً.
ـ ذلك لأنني افضل عدم ذهابك الى بريستول. اذا وافقت صديقتك على هذا الترتيب، فيمكن ان اطلب من صديقي ووكيل اعمالي في بريستول فرانك فوغارتي مساعدتها على الانتقال، بينما تعدّين انت الكوخ لاستقبالها. ما اسم صديقتك؟
ـ اسمها الآنسة بيب، ولديها قط اسمه مونتي.
دخل دميان سانت اوين غرفة المكتبة بعد ذلك مع فنجانين من القهوة، بينما كانت كيت تنهي مكالمتها.
قال:
ـ اتيت بالقهوة لأن ماريان مشغولة. ماذا كان جواب الآنسة بيب؟
ـ تحمست للفكرة كثيراً. الحمدلله، اشعر ان اثقالاً ازيحت عن

كاهلي. لا ادري كيف اشكرك يا سيدي.

اقترب منها، بعد ان وضع فنجاني القهوة على المنضدة، واحتضن وجهها بين يديه قائلاً:

- انت فتاة جميلة يا كيت، واريدك ان تكوني سعيدة هنا.

ثم ابتعد قائلاً:

- اعطيني اسم الآنسة الكامل وعنوانها، حتى اتصل بوكيلي، وأنا اشرب القهوة.

بدأ باجراء اتصالاته، بينما كانت افكار كيت تمزقها: (كانت يداه دافئتين على صفحة وجهي. لا... لا يمكنني الاندفاع وراء عواطفي بهذا الشكل. صحيح انه اراحني من اثقال مشكلة اتعبتني سنين طويلة، لكن ليس معنى هذا ان اندفع نحوه كل هذا الاندفاع. يجب ان اتناسى الجانب الانساني فيه، لأن هذا الجانب خطر على مشاعري واحاسيسي).

عادت من دنيا افكارها وهو يقول:

- كل شيء على ما يرام. سأذهب الآن لتفقد المهندسين في المنجم، ولا اعرف متى سأعود للعشاء. متعي نفسك بالقاء نظرة على الكوخ.

- سأفعل. وشكراً مرة اخرى يا سيد سانت اوين.

- دميان تكفي.

- حسناً... يا دميان.

اتخذت كيت طريقها نحو الكوخ، بينما كانت الشمس تتربع في وسط السماء مليكة دافئة. صادفها كلب دميان سانت اوين في الطريق، واكمل المسيرة معها. قرعت باب الكوخ المجاور للكوخ المهجور، ففتحت لها السيدة التي رأتها في الصباح: (سيدة في العقد

الخامس من عمرها، ريفية، طيبة الملامح، جارة ممتازة لمربيتي الغالية...).

سألتها كيت:

- هل استطيع اخذ مفتاح الكوخ المجاور؟

- طبعاً تستطيعين ذلك. سأبحث لك عنه... ارى ان الكلب بصحبتك. يا له من حيوان مخلص. لقد عرفته منذ كان جرواً، ثم اصبح الكلب المفضل لوالدة السيد سانت اوين. تفضلي بالدخول وسآتي بالمفتاح. ها هو... سأرافقك الآن لأفتح لك باب الكوخ، لأنه قاس بعض الشيء. هل ستقيمين هنا؟

شرحت كيت لها الظروف باختصار، فقالت السيدة الطيبة:

- ستكون صديقتك سعيدة بيننا، فنحن اناس طيبون، ونعرف حقوق الجوار. سأتركك الآن لتلقي نظرة.

- شكراً لك... هل اسلمك المفتاح فيما بعد؟

- لا لزوم لذلك. يمكنك الاحتفاظ به، والعودة الى هنا متى شئت. انت تقيمين في البيت الكبير، أليس كذلك؟

- في الوقت الحاضر نعم، اقوم بمساعدة السيد سانت أوين في انجاز بعض الأعمال.

- لا بد انك مرهقة بالعمل اذن، لأن هناك الكثير من المشاريع التي يفكر السيد سانت اوين بانجازها. ان العودة الى العمل في المنجم، ستنقذ شباب المنطقة من الهجرة للبحث عن الرزق. وفقه الله فيما ينوي فعله. سأذهب الآن لتفقد ارغفة الخبز.

طافت كيت في ارجاء الكوخ تتفقده، بينما كانت عجلة افكارها تدور: (لم اتصور ان تكون عملية فتح المنجم من جديد عملية انقاذ للمنطقة واهلها. كنت اظنها عملية تفتيش جديدة عن المزيد من

الملل. يظهر ان في اعماق السيد سانت اوين يكمن انسان طيب).
كان الكوخ مؤلفاً من طابقين. في الطابق الأول غرفة للجلوس مع مطبخ، ومكان للاستحمام. وفي الطابق الثاني غرفتان للنوم مع مكان للاستحمام ايضاً. هذا عدا غرفة في اخر البيت لوضع المؤونة.
((ستحب مربيتي العزيزة المكان كثيراً: نوافذ واسعة . . . غرف دافئة . . . سقف خشبي. ما احلى مستقبلنا سوية في مثل هذا المكان الرائع)).
لفتها اردية الفرحة اثناء عودتها الى المنزل: ((سأعبر عن امتناني للسيد سانت اوين بالعمل ليلاً نهاراً. فهو الرجل الذي حقق لي احلى احلامي. عندما اصل الى البيت سأشرب الشاي مع ماريان، وانتظره لأنفذ اوامره)).
وصلت كيت لتجد السيد سانت اوين مسترخياً في الفسحة المحيطة بالبيت على كرسي طويل. فاجأها بوجوده، لكنه بادرها بالقول:
ـ اعطيت لنفسي اجازة بعد ظهر اليوم، فالحر شديد، ولا يشجع على العمل. تفضلي بالجلوس.
جلست على مقربة منه تتأمله: ((اختلفت تصرفات السيد سانت اوين كثيراً عن المرات الأولى التي رأيته فيها في لندن. تغيرت حتى طريقته في انتقاء ملابسه . . . بنطال ازرق، انيق، بسيط، وقميص حريري ابيض. وجهه الأسمر لوحته الشمس فزادته جاذبية ووسامة. ما اغرب تأثير هذا الانسان فيّ . . .)).
تأملها دميان سانت اوين ملياً قبل ان يقول:
ـ هناك موضوع خاص اود مفاتحتك به . . .

اخافتها لهجته، لكنه سألها:

- هل اعجبك الكوخ؟

- نعم، اعجبني جداً. كنت اتفقد ارجاءه وكأنني في حلم. والسيدة نوريس جارة طيبة. اشكرك جزيل الشكر على كل ما فعلت.

- عائلة نوريس من العائلات الطيبة التي عرفناها منذ زمن بعيد. لكنني في الحقيقة اود مفاتحتك بموضوع آخر يا كيت.

- اذا كان الموضوع خاصاً بالعمل، فأنا على اتم الاستعداد لفعل كل ما تطلبه مني.

- اتمنى ذلك، لأني تلقيت مكالمة هاتفية من كندا، اخبرني خلالها وارن لندسي انه سيصل مع ابنته مادلين يوم الأربعاء. لذلك سأحتاج الى مساعدتك.

- هل تريد مني الاهتمام بالآنسة لندسي اثناء غياب والدها في العمل؟

- شيء من هذا القبيل...

واعتدل في جلسته قبل ان يكمل:

- هل تدركين يا كيت معنى نجاح هذا المشروع بالنسبة الي؟ لقد انفقت فيه الكثير من المال، واعلق عليه الكثير من الآمال.

- اعرف ذلك مما نشر في الصحف.

- اطمح الى مشاركة شركة فستور الكندية مستقبلاً. لذلك يجب ان تكون هذه الزيارة ناجحة من جميع نواحيها.

- اريد مساعدتك، لكنني لا اعرف ماذا بإمكاني ان افعل. لقد تدربت على الكثير من الأشياء اثناء دراستي للسكرتارية.

- لا اعتقد انك مدربة على ما سأطلبه منك. لقد اخطأت فهم

الهدف الذي اتيت بك من اجله الى هنا. فأنا لست بحاجة الى سكرتيرة كما تتصورين.

ـ ما الذي تحتاج اليه اذن؟

ـ احتاج في الوقت الحاضر إلى خطيبة... وقد اصبح بحاجة الى زوجة في المستقبل القريب...

٥ - الوهم أظهر زيفه...

كانت صفعة الحقيقة مؤلمة، لكن كيت تمالكت نفسها وقالت له:

- آسفة جداً، يا سيد سانت أوين. لا يمكنني الاشتراك في هذه اللعبة ابداً.

- لا يمكنك فعل ذلك، ام لا تودين فعله؟

- الاثنان معاً، يا سيدي.

- لا تتسرعي باتخاذ اي قرار. ستنقذني موافقتك من أية مواقف محرجة مع مادلين، التي تلاحقني منذ اجتماعنا في كندا.

- هل يعني هذا انها تحبك؟

- لا يمكنني ان اسمي مشاعرها نحوي حباً، لانها مثل جميع الفتيات الغنيات اللواتي يهمهن امتلاك ما يعجبهن كله. ولسوء الحظ

فلنا الآن من هذا الصنف بالنسبة اليها. ارجو يا آنسة وارنغتون ان تقبلي مساعدتي، لأني لا اريد ان اخسر الصفقة.

ـ وما دخل العمل بالعواطف؟

ـ تفرض العواطف خط سير العمل في بعض الأحيان، والمشروع الذي احاول الحصول على الموافقة بشأنه، يحتاج الى سند مادي كبير. لذلك احتاج لمساعدتك... ضعي الشروط التي تريدينها، وتأكدي اني سأجزل لك العطاء.

ـ تعرض علي مالاً ثمناً للغش والخداع؟ (لقد خاب املي بالسيد سانت اوين فعلاً). لا يا سيدي، انا ارفض عرضك البشع رفضاً باتاً.

لم ييأس دميان سانت أوين من موافقتها، فعاد يذكرها:

ـ لكنك قلت قبل قليل انك على استعداد لمساعدتي بأية طريقة. فلماذا ترفضين الآن مد يد المساعدة التي احتاجها؟

ـ انت تتلاعب بي... لماذا لم تصارحني بالحقيقة منذ البداية؟

ـ كيف اصارحك بالحقيقة، وقد تحولت يومها الى قطة متوحشة لمجرد انك اسأت فهم بعض كلمات قلتها؟ هذا ما اضطرني للقيام بمناورة لآتي بك الى هنا.

ـ كل ما فعلته اذن كان لتمويه الحقيقة! التلطف، التظرف، العناية... لم يكن هذا كله الا اضواء ساطعة لاخفاء الواقع المظلم. واذا رفضت مساعدتك الآن، ستهددني حتماً بالغاء اتفاقنا الخاص بالكوخ. فهو وسيلتك لارغامي على القبول.

ـ لم اكن اعلم بحاجتك للكوخ قبل اليوم. لكنني اذا اضطررت الى استعماله كسلاح فسأفعل ذلك آسفاً.

ـ انت لا تحتمل...

ـ جميل ان يبدأ الانسان فترة خطوبته بنوع من النفور. . . دعينا نناقش الأمر بهدوء.

ـ ليس بيننا ما يستحق المناقشة. ارفض مساعدتك بهذه الطريقة الخادعة.

ـ حاولي ان تفهميني يا كيت. ينضم امر هذه المساعدة تحت لواء الوظائف، صدقيني، كل المطلوب منك هو ان تكوني معي عندما يأتي السيد ليندسي وابنته، وان تظهري امامهما بعض العواطف المتوقعة بين خطيبين. هذا طبعاً بالاضافة الى ابتسامة حلوة بين الحين والآخر. هل تجدين ما اطلبه مستحيل التحقيق؟

ـ لماذا اخترتني انا بالذات لمثل هذا العمل؟ لماذا لم تختر انسانة مثل كارول اوليفر مثلاً؟

ـ ما الذي تعرفينه عن كارول اوليفر؟

ـ عرفت اليوم ما يكفيني حين اتت لالقاء نظرة علي.

ـ معرفتك بكارول اوليفر فيها الجواب على تساؤلك. واسمحي لي ان اعتذر عنها اذا كان قد بدر منها ما يضايقك. فأنا الأعلم بطباعها، لذلك لا استطيع عرض مثل هذا المشروع عليها. اعود للاجابة على سؤالك الأول. لقد اخترتك لاسباب ثلاثة: اولا، عدم استطاعتي خوض هذه التجربة مع فتاة اعرفها. ثانياً، امتداح السيدة آش بروك لك، ورغبتك في رؤية كورن وول. ثالثاً، توفر الصفات التي ارغبها بزوجة المستقبل فيك. هذا إذا فكرت يوماً بالزواج.

ـ لن اتأثر بكل هذا الاطراء يا سيد سانت أوين، لأن عائلتك العريقة لن تتقبل يوماً فتاة فقيرة مثلي.

ـ اظنك تعرفين رأيي بالفتيات الغنيات.

ـ وما هو بالضبط، يا سيد سانت أوين؟
ـ الفتاة الغنية مدللة، لعوب. وكارول اوليفر خير مثال على ذلك. تأكدي يا آنسة، ان ما سنصل اليه من اتفاق سيكون على اسس مؤقتة، فلا لزوم للخوف، لأني لا املك الوقت الكافي للزواج الآن بسبب المشاريع التي تملأ جعبتي.
ـ ما مدى الأسس المؤقتة التي تتكلم عنها؟
ـ شهران على الأكثر، بعد توقيع وارن لندسي اتفاقية الموافقة على المشروع. الا يمكنك تحملي شهرين فقط؟
ـ وهل ستلغي اتفاقنا بشأن الكوخ اذا رفضت؟
ـ آخر الدواء الكي... وقد الجأ الى هذا الأسلوب في سبيل اقناعك.
ـ أليس الاختيار من حقي؟
ـ الظروف اقسى من ان تسمح لك بالاختيار.
ـ هناك سؤال آخر، ما الذي قصدته بقولك: قد احتاج الى زوجة؟
ـ لا املك جواباً لهذا السؤال في الوقت الحاضر.
ـ انس الموضوع حاضراً ومستقبلاً، لأني اكره الزواج من الأغنياء بقدر ما تكره انت الزواج من بناتهم.
قهقه دميان سانت اوين ضاحكاً قبل ان يسألها:
ـ أهذا هو المنظار الذي تتأملينني عبره يا كيت؟
ـ ولماذا الاستغراب؟ الست غنياً؟
ـ لم انت شديدة الحساسية تجاه المال واصحابه؟
ـ ليس هناك سبب معين... انها مجرد حساسيات لا اكثر.
ـ مع بعض التعصب...

ـ قد تكون على حق. من الممكن ان تكون مشاعري مزيجاً من لحساسية والتعصب.

رفرف الصمت بجناحيه فوق رأسيهما تاركاً اياها تحت رحمة نظراته:

(أين يمكن الهرب من هذه النظرات الثابتة؟ يخيفني مستقبلي كطرف من اطراف هذه اللعبة الخبيثة. لكن الصديق وقت الضيق، ويجب علي ان اضحي من اجل مربيتي. فقد ضحت بالكثير من اجلي في الماضي).

حطم دميان حاجز الصمت قائلاً:

ـ بما اننا اتفقنا، فاسمحي لي ان اقدم اهم مقومات اللعبة...

واخرج من جيبه علبة جلدية حوت خاتماً ماسياً رائعاً قبل ان يقول:

ـ اشتريته من مطار هيثرو. فأرجو أن يعجبك، وان يكون قياسه مناسباً لأصبعك.

ـ يظهر انك كنت متأكداً من موافقتي على ما تنوي فعله!

ضاعت نظراته في الأفق وهو يؤكد:

ـ من سار على الدرب وصل، وانا احب ان اصل الى ما اريده دائماً. هل قياس الخاتم مناسب؟

كان الخاتم ماسياً رائعاً راحت تتأمله في اصبعها قبل ان تسمعه يتساءل:

ـ هل اعجبك؟

ـ بالطبع... إنه خاتم جميل جداً.

وعادت الى الماضي مع الذكريات: (لم يكن خاتم خطوبتي لروجر ماسياً، بل كان من اللؤلؤ والزمرد... لم احب ذلك الخاتم طوال

فترة ارتباطنا رغم اني حاولت ذلك. ترى هل احتفظ به بعد ان اعدته اليه؟ ما نوع الفتاة التي تزين به اصبعها هذه الأيام؟ الحمد لله لم يعد في ذكريات الماضي ما يؤلم... لكن ما يؤلمني حقاً هو انني لم اف بالوعد الذي قطعته يوماً على نفسي بأن تكون تجربتي الثانية في عالم الحب والزواج تجربة حقيقية، ناجحة، وأبدية. وها انذا اضع خاتم الخطوبة في اصبعي مرة ثانية لأشارك في لعبة غش وخداع لا اكثر...).

عاد لسؤالها:

- هل يعجبك الخاتم حقاً؟

- يعجبني جداً، فهو افضل من خاتمي في ....

- عن اي خاتم تتحدثين؟

- عن خاتم خطوبتي الأولى. حدث هذا قبل ثلاث سنوات.

- هذه المرة لا حاجة للتحفظ، فلن تكون هناك قلوب في خطر.

- اتمنى ذلك...

وفكرت: (هذه فرصتي لمقاومتك بأسلحتك نفسها).

سألها:-

- ما رأيك في ان نخبر ماريان بالخبر السعيد؟

- هذا يذكرني بسؤال: ماذا قلت لهيوغو عني قبل وصولنا؟

- قلت انك خطيبتي، واننا سنعلن نبأ خطوبتنا في اليومين القادمين.

- هذا كثير... اكثر من ان احتمله. وكيف عرفت اني سأوافق على مشاركتك هذه اللعبة المجنونة؟

- كان مجرد حدس... ولقد صدق حدسي.

خسرت كيف معركة الكلام امامه، فلجأت الى الصمت. مد لها

يده قائلاً:
- ستأتينا ماريان بعد قليل بالشاي وقالب الحلوى، فتعالي معي.
ولما لم تتحرك جذبها اليه قائلاً:
- تذكري اننا خطيبان. يجب ان تعتادي وجودي بقربك رغم كرهك الشديد لأصحاب الملايين.
تعالت ضربات قلبها: (صحيح انني اكره اصحاب الملايين الا ان لوجوده تأثيراً كبيراً. والأدهى من ذلك اننا الآن خطيبان، وهذا يعطيه حق البقاء بجانبي... احتضاني، يا إلهي! لا يمكن...).
لم تلاحظ كيت انها رددت الجزء الأخير من افكارها بصوت عال إلا حين سألها:
- ما هو الشيء الذي لا يمكن؟
- كنت... كنت...
- كنت تفكرين بأنني قد استغل وضعي كخطيب لك. لكن لا تخافي، فلست من هذا النوع من الرجال.
هربت الى افكارها: (قد يكون مختلفاً عن الرجال الذين عرفتهم فعلاً. فالخطوبة بالنسبة اليه مجرد وسيلة للخلاص من مأزق. ولو كان يهمه امري فعلاً، لما طلب مني مثل هذا الطلب. فلا حاجة للقلق إذن).
كانا يسيران باتجاه البيت عندما سمع دميان صوتاً رقيقاً يناديه، فالتفت ليرى كارول اوليفر قادمة باتجاهه. عاتبته:
- اين كنت؟ بحثت عنك في كل مكان.
ثم قفزت الدرجات التي تفصلها عنه، وعانقته مهنئة:
- احمد الله على سلامة وصولك يا عزيزي... كانت الحياة هنا مملة بدونك.

ـ يا له من استقبال حار، ذكرني باستقبال جيت عندما وصلت.
استغربت:
ـ وما دخل جيت في الموضوع؟
ادار دفة الحديث نحو دروب اخرى:
ـ انت جميلة جداً اليوم يا كارول.
وضعت يدها في يده كأنها تشكره. اما كيت فكانت مع افكارها:
(هذه الفتاة رائعة الجمال وأنيقة. ترى هل من الممكن ان يتزوجها دميان سانت اوين في يوم من الأيام؟ ما طبيعة العلاقة بين الاثنين؟ انه يعاملها وكأنها شقيقته الصغرى... أليس هذا غريباً بعد كل ما سمعته منها هذا الصباح!).
سمعتها تقول:
ـ تعال لنرى سيارتي الجديدة يا عزيزي.
ـ آسف يا كارول، فلا وقت لدي.
ـ اعط سكرتيرتك عملاً، وتعال معي لنقوم بنزهة رائعة في سيارتي الجديدة.
ـ قلت لك آسف يا كارول... ثم من فضلك اسمحي لي ان اقدم لك خطيبتي وزوجة المستقبل كيت. ويسرني ان تكوني من اوائل المهنئين، لأننا اتفقنا على اعلان خطوبتنا قبل قليل.
ضحكت كارول بعصبية:
ـ عزيزي دميان، رغم انك تعشق مفاجأة الناس بأخبارك، الا اني لا يمكن ان اصدق ما سمعته... لا بد انك تمزح.
عانق دميان كيت مؤكداً:
ـ انا لا امزح. الخبر حقيقة واقعة، اليس كذلك يا كيت؟
لم تجب كيت لأن فكرة واحدة كانت تعزلها عن الواقع: (انت

بارع في التمثيل براعتك في كل شيء).
اشتدت قوة قبضته حولها وهو يعيد السؤال:
ـ أليس كذلك يا كيت؟
ـ طبعاً يا عزيزي... الخبر حقيقة ساطعة.
تأملت كارول كيت بعصبية قبل ان تصرخ:
ـ ولماذا تنتقيها هي خطيبة وزوجة؟ لا... لا يمكن ابداً... انا ما زلت مصرة على عدم تصديقك. اعرف ان ما يحدث هو لعبة من ألاعيبك. لذلك ارجو ان تتصل بي عندما تنتهي منها.
تركتهما كارول بينما احتلت الشفقة قلب كيت: (مسكينة، هي في وضع لا تحسد عليه. لا بد ان عندها الصفات الحميدة بما يكفي. في الماضي كنت اؤمن بأن جميع الناس طيبون ومسالمون، اصحاب اخلاقيات ومثل. لكن الظروف اكدت لي خطأ معتقداتي).
قال دميان:
ـ يا لها من تمثيلية، وأنا آسف لما سببته لك من ازعاج بكلامها، فهي انسانة مدللة، واعتقد انها ستنسى وجودي في حياتها قريباً.
ـ لا اتصور ذلك، لأنها تعتبرك من املاكها الخاصة، او هكذا خيل الي عندما هددتني هذا الصباح.
ـ اعتذر لوضعك في موقف حرج، غير متوقع.
ـ هو مجرد شيء تافه فاتك التدقيق فيه، وجلّ من لا ينسى، أليس كذلك؟
ـ كلامك يقطر سخرية لن اتمكن من حسابك عليها، لأن ماريان قادمة ويجب ان نمثل مشهداً عاطفياً من مسرحيتنا امامها.
وضمها اليه بقوة ارتعشت لتأثيرها. رأتهما ماريان، فاعتذرت قائلة:

ـ آسفة لازعاجكما.

اكد دميان:

ـ لا لزوم للاعتذار يا ماريان. وافقت كيت منذ قليل على اعلان خطوبتنا.

ـ الف مبروك... اتمنى لكما السعادة كلها. هل استطيع ان ارى خاتم الخطوبة يا آنسة كيت؟ انه جميل جداً. انت انسان محظوظ يا سيد سانت أوين. مبروك. سأصب لكما الشاي وأذهب، فلا بد ان هناك الكثير من الأمور التي تودان مناقشتها على انفراد.

سارعت كيت الى القول:

ـ سنكون سعيدين بمشاركتك شرب الشاي.

تابع دميان:

ـ فعلاً، لا حاجة للعجلة. أليس كذلك يا كيت؟

وعاد الى الاسترخاء في مجلسه مع كوب من الشاي وقطعة من حلوى قبل ان يقول:

ـ الحلوى لذيذة كالعادة يا ماريان. انت تتعبين كثيراً... متى سيصل الثنائي الذي اتفقت معه لمساعدتك؟

ـ تقصد غريسون وزوجته؟ سيصلان صباح غد بإذن الله.

ـ عظيم... لأنك بحاجة الى مساعدة عاجلة.

ـ الانغماس في العمل لا يضايقني ابداً.

والتفتت نحو كيت مفسرة:

ـ الحصول على مساعدة من فتيات القرية سهل في الشتاء، لكنه صعب جداً في الصيف بسبب العطلة، وانشغال الفتيات بوظائف مؤقتة. اما الثنائي الذي يتكلم السيد دميان عنه، فهو قادم من يورك شاير، وارجو ان يعجبك... قد يكون التحدث في الشؤون البيتية

سابقاً لأوانه.

اجابها دميان:

- هو سابق لأوانه بالفعل. هل بقي بعض الشاي في الابريق؟

صبت له ماريان كوباً من الشاي وهي تقول:

- غريب امر الرجال. فهم لا يتصورون ان مثل هذه الأمور تهم النساء منذ اللحظة الأولى لاعلان الارتباط. هل فكرتما بأية ترتيبات؟

سألتها كيت:

- عن اي ترتيبات تتكلمين؟

وفكرت: (كل الخطوات تم تنظيمها قبل وصولي. هدوء السيد سانت أوين الخادع يعذبني...).

- اعني ترتيبات حفل الزفاف.

ارتبكت كيت:

- لم ... لم نتفق بعد على اية ترتيبات.

وعلت وجه دميان سانت أوين ابتسامة واسعة قبل ان يقول:

- خير البر عاجله بالنسبة الي، لكن النساء يقمن عادة ببعض الترتيبات قبل حلول مثل هذه المناسبات... كشراء بعض الثياب مثلاً.

انقذ ذكر الثياب كيت من مأزق حرج:

- فكرة مجيئي مع دميان كانت وليدة اللحظة، لذلك لم يكن امامي الوقت الكافي لانتقاء ما يلزمني من ثياب قد احتاج اليها لاستقبال وارن لندسي وابنته. الا تعتقدين انه يمكنني ايجاد بعض الملابس الأنيقة في بنزانس او ترورو؟

اكدت لها ماريان:

ـ باستطاعتك دائماً ايجاد ما تريدينه، خاصة اذا ساعدتك في عمليات البحث، لأنني عملت في هذه المهنة قبل زواجي من هيوغو.

وانشغلت المرأتان بالحديث عن الثياب والأزياء قطعه عليهما دميان بقوله:

ـ بما ان احاديث الثياب لا تهمني، فسأعود الى المنجم على امل اللقاء بكما وقت العشاء. ارجو يا ماريان ان تكون وجبة العشاء خاصة هذا المساء، وادعوك مع هيوغو لمشاركتنا احتفالنا بالمناسبة السعيدة.

ـ سيكون ذلك من دواعي سرورنا، ولو اني اخاف ازعاجكما بوجودنا.

ـ لا تخافي... فرحلة عمري مع كيت ما زالت في بدايتها. الى اللقاء.

تأملته ماريان:

ـ دميان انسان لطيف. رفض فكرة الزواج كثيراً من قبل... لذلك كان اعلان خطوبتكما مفاجأة حلوة بالنسبة الي.

حاولت كيت اخفاء ارتباكها بصب كوب من الشاي اخذته ماريان منها قبل ان تسألها:

ـ هل تعرفين دميان منذ فترة طويلة؟

ـ عرفته لفترة قصيرة، لذلك فوجئت باعلان الخطوبة مثلك تماماً.

وفجأة قررت كيت ان تسأل ماريان:

ـ دميان انسان جذاب، ولا شك في ان الكثير من الفتيات لاحقنه لكسب وده.

ـ هذا صحيح يا آنسة كيت، لكنه لم يظهر اهتماماً بفتاة من قبل.

ـ ولا حتى كارول اوليفر؟

ـ كارول اوليفر تريده زوجا، لكنني لا اعتقد انها تناسبه.

سعت كيت وراء الأفكار: (كارول اوليفر فتاة جميلة وجذابة، ولكن يبدو ان وجودها لا يناسب هذه الفترة المصيرية من حياة دميان سانت أوين. فهو لن يكون متفرغاً لها التفرغ الذي يرضيها. . . عندما تنتهي مهمتي هنا سأعود. ما بال قلبي يتهاوى في مهاوي الكآبة؟ الحديث عن الثياب افضل. . .).

بعد انتهائهما من تناول الشاي، اخذتها ماريان في جولة استكشافية لأرجاء المنزل. كان واسعاً، جميلاً وحديثاً، ذا غرف متعددة انيقة الترتيب. قالت ماريان:

ـ اشفق على دميان من دوامة العمل الذي اغرق نفسه فيها منذ وفاة والده. فاستغراقه يحرمه من التمتع بمباهج الحياة حوله. اتمنى له التوفيق في مساعيه لفتح منجم وبل دورا من جديد، لأن ذلك يحقق له حلماً كبيراً من احلامه. ثم ان وجودك يا آنسة كيت سيساعده على تحقيق آماله.

سخرت كيت من نفسها: (كيف اساعده وانا لا اعرف شيئاً عن آماله واحلامه؟).

زارت كيت مع ماريان القسم الذي تشغله الأخيرة في البيت. شرحت لها ماريان:

ـ مسكننا هنا جميل، صغير وهادىء استحدثه دميان لنا عندما قررنا الانتقال للعيش معه. وقد اتفقنا الا نترك البيت الا حين يتزوج. شكراً لله، انه يخطو الآن خطواته الأولى على هذا الطريق لأن هيوغو استطاع ايفاء ديونه اخيراً، ويعمل الآن مع السيد سانت اوين كمشرف على مقالع الحجارة. لذلك نفكر جدياً بالبحث عن بيت والانتقال اليه. . . اخيراً سيكون لي بيتي، اسرتي وحياتي

الخاصة. ما احلاه من شعور!

استولى الحزن على كيت: (تفكر ماريان بالأسرة والبيت. اما أنا فلا يحق لي ان افعل هذا، لأني اعيش حلماً جميلاً، زائفاً، اخاف ان اصحو منه على براثن الواقع).

انهت ماريان الجولة مع كيت بقولها:

ـ سأنزل الآن لتحضير العشاء... هل تحبين البط؟ سأحضره على الطريقة الفرنسية خصيصاً للمناسبة. سيفرح هيوغو كثيراً عندما يسمع خبر الخطوبة هذا المساء.

هربت كيت إلى غرفتها سعياً وراء الهدوء بعد ان تركتها ماريان، لكن انياب الأفكار كانت اقوى منها، فراحت تنهشها دون رحمة: (احمدك يا رب لأنني بفضلك استطعت ايجاد الحلول للكثير من المشاكل، وتحقيق الكثير من الآمال. لكنني اتوسل اليك الا تتركني على شواطىء هذا الحلم الجميل طويلاً، حتى لا انسى مرارة الواقع الذي اعيشه...) وضاعت نظراتها بين المروج...

٦ - عقد من اللؤلؤ... ونزهة

تأملت كيت فساتينها في الخزانة: (اذا كنت اريد تمثيل دور الخطيبة بشكل صحيح، فيجب عليّ شراء بعض الفساتين قريباً. علي التفكير بالمجوهرات ايضاً، فقد بعت كل مجوهراتي ونفائسي عندما اعلن والدي افلاسه، رغبة مني في انقاذه من ورطته. لكن شيئاً لم يفلح في ذلك).

سمعت قرعاً خفيفاً على الباب، دخلت بعده ماريان قائلة:

- كل ما يتعلق بالعشاء جاهز. ستبقى آيدا لغسل الأطباق في المساء. افكر بتقديم انواع من العصير في السابعة والنصف، على ان نتناول طعام العشاء في الثامنة، هذا إذا لم يكن لديك مانع طبعاً. سأخبر هيوغو ان الاجتماع رسمي نوعاً ما، والا حضر إلى العشاء

ببنطال بسيط وسترة ابسط.

اختارت كيت للأمسية فستاناً حريرياً معرقاً اعجب ماريان، فأثنت عليه قبل ان تخرج من الغرفة لبعض شؤونها.

بقيت كيت وحدها في الغرفة، فقررت ان تكتب رسالة مفصلة للمربية تخبرها فيها عن الكوخ والمنطقة والجوار. لم تذكر في الرسالة أي شيء عن اللعبة التي وافقت على الاشتراك فيها، والتي بدأت تشعر انها جزء منها. كتبت لها ايضاً عن فرانك فوغارتي وزوجته اللذين سيساعدانها في إجراء ترتيبات الانتقال تنفيذاً لطلب السيد سانت اوين كما فضلت ان تسميه في الرسالة. وختمت رسالتها بالاعتذار للمربية لأنها لن تتمكن من المجيء الى بريستول لمساعدتها بسبب حاجة مديرها إليها في هذه الفترة. عندما انتهت من كتابة الرسالة كانت الساعة تقارب السابعة. استحمت قبل ان ترتدي فستانها الأنيق، وتضع بعض لمسات من الزينة الخفيفة على وجهها. تأملت نفسها في المرآة: (فستان أنيق فعلاً... من يراه لا يمكن ان يصدق ان عمره ثلاث سنوات. ليس عندي من المجوهرات ما يضاهي الخاتم الذي ألبسه روعة وجمالاً... لماذا لم يكن دميان سانت اوين انساناً بسيطاً، يحبني واحبه؟ لكن السيد سانت اوين ليس إنساناً عادياً، بل رجل اعمال كبيراً اتفقت معه على تمثيل دور الخطيبة. ويجب ان انجح في تمثيل دوري، خاصة حين نكون بين معارفه واصدقائه...).

وقفت كيت في اعلى الدرجات تتأمل المكان والموجودين. كان الثلاثة منتشرين في الردهة الفسيحة التي اضاءت الشموع مائدة الطعام في الجزء الأعلى منها.

رآها دميان فصعد إليها واحتواها بين ذراعيه قائلاً بصوت

مسموع:

ـ تبدين رائعة الليلة يا . . . حبيبتي.

ابتسمت ابتسامة رائعة، وهي تتأمل بدلته المخملية البنية ثم قالت:

ـ انت ايضاً لا تنقصك الوسامة يا عزيزي. . . ما اسعدنا ببعضنا.

ضمها دميان بقوة قبل ان يأتيها هيوغو بالعصير مهنئاً إياها بهذه المناسبة، بينما كانت زوجته الطيبة تقف الى جانبه مشرقة بفستانها الأزرق.

مضت ساعات الحفل العائلي سريعة، لم تشعر كيت خلالها بأي انزعاج. اما دميان فقد كان مضيفاً ممتازاً اهتم بأمرها ونفذ لها طلباتها. . . ثم جلس يروي للموجودين قصصاً عن التاريخ الكوروني سحرت كيت بطلاوتها.

كانت جحافل الليل قد بدأت تطارد فلول النهار عندما جلس الجميع لتناول العشاء وما أن انتهوا من وجبة البط الشهية حتى جلسوا على الارائك المريحة للاستمتاع بسكون الليل وهدوئه. عانق دميان كيت التي اراحت رأسها الصغير على صدره الواسع. كان رأس كيت ما زال مستريحاً على صدر دميان عندما راحت عيناها تتأملان هيوغو: (يبدو متعباً ومثقلاً بالمسؤوليات. إنه ودميان مثالان حيّان للفشل والنجاح. . . صحيح ان دميان مد له يوماً يد المساعدة، لكن ليس دون مقابل. فقد كسب في هيوغو موظفاً مخلصاً، وفي زوجته مديرة بيت ممتازة. وأكاد اقسم انه ما كان ليساعدهما لولا احساسه بهذه النتيجة مسبقاً. ففي دنيا الأعمال والسعي وراء المال، تسود شريعة الغاب حيث لا مجال للرحمة، والبقاء للأقوى فقط).

كانت الموسيقى الناعمة تملأ الأجواء حولهم، وتزيدها روعة حين تسرب تأثير الوليمة اللذيذة إلى جفون كيت فاستسلمت لغفوة لذيذة صحت منها، والليل قد لفّ كل شيء برداءه الأسود.

. قالت ماريان:

- هيا بنا يا عزيزي هيوغو، فقد حلّ الليل وعليك ان توصل آبدا الى القرية.

- زوجتي ملكة في عالم اللباقة.

احتضنت ماريان يده قائلة:

- يظهر انك نسيت فترة الخطوبة والمخطوبين، لكنني لم انس. دميان... كيت... تصبحان على خير. لا تتحركا. ابقيا كما انتما... منظركما رائع.

فجأة احست كيت بوضعها ويدفسه ذراع دميان حول كتفها، فعادت الى الجلوس. احتج دميان على تصرفها:

- لماذا عدت الى الجلوس؟ اعترف ان فكرة الخطوبة ووجود خطيبة بدأت تعجبني.

- تذكر اننا خطيبان امام الناس فقط.

- لكننا مع ذلك نستطيع التمتع بأوقاتنا معاً... على نحو بريء طبعاً.

- لا، هذا لن يكون ابداً.

- اعتقد ان رفضك منبعه عدم ثقتك بنفسك، بالاضافة الى عدم ثقتك بي.

نهضت لاضاءة المكان قائلة:

- تجاوز هذا الحديث الحدود كلها. الروابط التي بيننا عملية لا مدخل للعواطف فيها، لأن تدخل العواطف خطر يجب تجنبه.

ـ اذن تعترفين ان العلاقات العاطفية خطرة؟
ـ ولماذا اخاف الاعتراف؟ انت يا سيدي انسان جذاب، ولك صولات وجولات في عالم الفتيات. لكنني لن اكون يوماً لعبة في يديك. فحياتي تسير وفق نظام معين، لا مكان لك فيه.
ـ تعجبني صراحتك.
ـ يسرني اننا اتفقنا.
ـ هل تريدين المزيد من العصير؟
تناسى عدم رغبتها، وقدم لها كوباً من عصير البرتقال قائلاً:
ـ اود ان اعرف كل شيء عنك، فذلك يساعد في إقناع الناس، ويساهم في تفهمي لزوجة المستقبل.
ـ لا لزوم لذلك لأنني لن اتزوجك. كان عليك ان تعرف كل شيء قبل ان تدخلني طرفاً في هذه اللعبة.
ـ في التأني السلامة، وفي العجلة الندامة. لذلك احب التأني في كل ما افعل. تفضلي بالجلوس.
ترددت قليلاً، ثم جلست على المقعد الذي شغلته ماريان.
سألها:
ـ لماذا هذا الكره كله لأصحاب الملايين؟ الا تحبين المتعة التي يستطيع المال توفيرها؟
ـ احبها مثل اي انسان عادي، لكنني اكره ان تدور الحياة في فلك تجميع المال فقط.
ـ في كلامك غصة الم يا كيت. اخبريني عن اسرتك... اقاربك، حياتك العائلية.
ـ توفي والدي منذ زمن بعيد، واعيش في البيت الذي تعرفه مع صديقاتي، وليس لي اقارب.

- وماذا عن الآنسة بيب؟ اليست من أقاربك؟

- اعتدت ان اناديها «المربية» منذ وقت طويل، وهي صديقة قديمة جداً.

- يظهر انك مصرة على ان تبقي مجهولة في نظري.

- ولماذا تهتم بمعرفة كل شيء عني؟ بامكانك قول اي شيء بشأني للتأثير في الناس. أليس هذا هو المهم؟

- ماذا تعنين؟

- اعني انك ترتب الأمور بطريقة تساعدك في الوصول الى مبتغاك دائماً.

- اعتقد اني لا اعجبك كثيراً. أليس كذلك؟

- انا لا اعرفك بما فيه الكفاية.

- وكيف يمكنك معرفتي اذا كنت قد اصدرت حكمك الصارم على الأغنياء؟

- نحن لسنا في مجال محاكمة يا سيدي.

نهض دميان من مكانه، وانتزعها من مقعدها، واجلسها بالقرب منه قائلاً:

- انك تفقديني قدرتي في السيطرة على النفس بكرهك للأغنياء، واصرارك على ابقاء نفسك في الظل... ابقي في الظل ما شئت، لكن بيننا اتفاقية يجب عليك تنفيذ بنودها.

- الم اتقن تمثيل دوري هذا المساء؟

- اتقنت دورك تماماً، الى درجة اقناعي.

- اقناعك بماذا؟ بانني احبك مثلاً؟

- ليس الى هذا الحد، لكنني تصورت انك بدأت تحبين دورك في اللعبة.

ـ لم . . . ولن احبه ابداً.

ـ هذا شأنك، لكني لن احتمل اسلوبك في الكرّ والفرّ: ظرف ولطف امام الناس، وشراسة عندما نبقى وحدنا. هل نحن في ساحة حرب يا آنسة كيت؟

ـ انا لا احاربك، وكان يجب الا تسير على هذا الدرب منذ البداية.

ـ الم يخبرك احد ان كيدهن عظيم وان للنساء اكثر من وسيلة فتاكة لكسب المعركة مع الرجال؟ انت على حق. ربما اخطأت في السير على هذا الدرب، لكن لا مجال للتراجع الآن. لذلك يجب ان نصل الى حل وسط بهذا الشأن. لماذا لا تكون العلاقة بيننا علاقة صديقين يهمهما الوصول الى هدف مشترك؟

ـ وهل يعني هذا ان نتبادل الثقة؟

ـ نعم. . . فأنا اعمل على أسس من الثقة دائماً.

ـ كيف يمكنك ان تثق بي وانت لا تكاد تعرفني؟

ـ استطيع ان احكم بأنك جديرة بثقتي.

زحفت نحو افكارها: (ما احلى كلامه . . . لكن هل تراه صادقاً فيما يقول؟ اقتناعه بما صدر مني الليلة من تصرفات معناه انني تجاوزت الحدود بالدفاعي . . . لذلك فالاحتياط واجب في المرة القادمة).

استعجلها دميان حين طال صمتها:

ـ لم تعطيني رأيك فيما اقترحت . . . هل تقبلين ان تكوني صديقة اثق بها عندما لا نكون بين الناس؟

ـ نعم. . . اقبل.

صافحها قائلاً:

ـ عظيم. . . والآن سنقوم بدراسة بعض الترتيبات. اعتقد انك

بحاجة لشراء بعض الثياب، لذلك ستذهب ماريان معك الى البلدة غداً صباحاً لتسهيل الأمور. سأرسل معك شيكاً مفتوحاً حتى لا تقلقي من الناحية المادية. اريد ان اكون فخوراً بزوجة المستقبل امام وارن لندسي. هذا يذكرني بشيء آخر... لحظة واحدة من فضلك.

ترك دميان الغرفة دقائق، عاد بعدها مع علبة جلدية نام فيها عقد رائع من اللؤلؤ.

قال لها:

- زيّني عنقك الجميل بهذا العقد في المناسبات.

- انه جميل جداً... شكراً لك.

لم تجد مرآة في الغرفة، فسألته:

- هل اللآلىء حقيقية؟ (ما اسخف سؤالي! وهل يشتري امثال دميان سانت اوبن مجوهرات تقليدية؟).

- نعم... كان هذا العقد لأمي. ستتزينين به... أليس كذلك؟

- طبعاً... لكن في المناسبات فقط، فهو اغلى من ان يستعمل بشكل يومي.

- تصرفي كما تشائين. استأذنك الآن فلدي بعض الرسائل التي يجب ان اكتبها. سأترك لك الشيك مع ماريان، لأنني سأكون مشغولاً طوال نهار الغد بالاجتماع مع العمال، وزيارة المنجم الذي سنذهب لتفقده معاً بعد الظهر.

- سيكون ذلك من دواعي سروري.

- بعد ان اتممنا تنظيم كل ما يتعلق بنهار الغد، لا يسعني الا ان اتمنى لك ليلة سعيدة، وشكراً لتعاونك.

تابعته بنظراتها وهو يصعد الى غرفته، بينما كانت اصابعها تداعب حبات اللؤلؤ حول عنقها. ثم صعدت الى غرفتها حيث خلعت العقد، وراحت تتأمل حباته مفسحة المجال لأفكارها: (قال لي أن اللؤلؤ يليق بي، وأن لي عنقاً جميلاً. يا الهي، يؤثر بي حتى بالكلام . . .) عادت الى الواقع لتضع العقد في علبته وتستعد للنوم.

في صباح اليوم الثاني تغيب دميان عن مائدة الفطور، وسلمتها ماريان الشيك قائلة:

- اعطاني دميان هذا الشيك، حتى لا تزعجي نفسك بترتيب امورك مع البنك الذي تتعاملين معه.

استطاعت كيت السيطرة على نفسها بصعوبة: (لو لم تكن ماريان امامي لانفجرت ضاحكة. . . اي بنك هذا الذي يتعامل مع انسانة لا تملك ثمن شراء ملابسها! فكر دميان بكل شيء. . . انه إنسان دقيق فعلاً).

امضت كيت نهارها تتجول في الأسواق مع ماريان، وتشتري ما طاب لها من الفساتين والأشياء التي حملتها معها في طريق العودة. ذكرتها ماريان:

- يجب ان نذهب الى فندق غراند للقاء دميان، ثم اعود انا الى البيت لاستقبال غريسون وزوجته ومرافقتهما في جولة استكشافية للمنزل. اما انت فستبقين مع دميان لزيارة المنجم.

قالت لها كيت:

- اريد ان اصل الى الفندق بأسرع وقت، فقد نفد صبري.

كانت الأفكار تضج في رأس كيت وهي في طريقها إلى الفندق: (مضى النهار رائعاً، مفعماً بالحياة والحركة. واجمل ما فيه انني سأزور المنجم مع دميان حيث سأقضي ساعات حلوة اتعرف فيها على منبع

ثروته. عندما تنتهي اللعبة، واغادر البيت لأعيش مع المربية . . .
لماذا لم اعد استسيغ الفكرة؟ الأفضل ان ابتعد عن عالم دميان تماماً
عندما يسدل الستار على الفصل الأخير من مسرحيتنا. اشعر اليوم
بالسعادة. . . كدت انسى هذا الشعور بعد سنوات من الحرمان).

كان الفندق الكبير فخم التصميم، رائع الهندسة، تحيط به
الحدائق الزمردية الخضراء احاطة السوار بالمعصم: (الحمد لله انني
قمت بتغيير ملابسي قبل ان آتي الى هنا. فكل ما حولي فخم، حتى
السيارات في موقف الفندق. اعتقد ان فستاني سيعجب دميان بلونه
الأحمر الهادىء. . . قالت لي صاحبة المحل الذي اشتريته منه انه
يتناسب تماماً مع لون بشرتي وشعري. هذا اول اجتماع لي مع دميان
في مكان عام. وارجو ان اكون عند حسن ظنه، فقد نلتقي هنا
بالكثير من اصدقائه. . . اشعر بفرحة حقيقية، وكأنني مخطوبة
فعلاً).

قالت ماريان:

- المفروض ان نلتقي بدميان في مقهى «الصياد»، الخاص
بالفندق.

- ارشديني الى طريق الوصول من فضلك.

وقفت كيت عند باب مقهى مزدحم، انتشرت شباك الصيد على
جدرانه، تبحث بنظراتها عن دميان الذي ما ان رآهما حتى نهض
لاستقبالهما. وغاصت كيت في بحر عينيه لحظة حلوة، توقفت فيها
عجلة الزمن وتركتهما معاً.

تقدم نحوهما مرحباً، وقادهما إلى مكانه قائلاً:

- غريب ان تذهب فتاتان الى السوق، دون ان تنسيا الحفاظ على
موعد! هل تريدان شيئاً من العصير؟

حين اتى كوب عصير الطماطم، كانت كيت ما تزال نشوى بالفرحة: (دميان انسان معروف ومحبوب. العيون تتأملني... ربما تحسدني على صحبته. امواج النشوة تغمرني. يا إلهي... ماذا دهاني؟).

سمعت ماريان تقول:

- حان وقت ذهابي لاستقبال غريسون وزوجته، فقد يصلان مبكرين. شكراً على العصير يا دميان، واعدك يا كيت ان اقود السيارة بحذر، حتى احافظ على ما فيها من أشياء انيقة وجميلة.

اندفع كل اصدقاء دميان في المقهى لتحيته وتهنئته بالخطوبة بعد انصراف ماريان. خجلت كيت من كونها محط انظار الموجودين جميعاً، لكنها كانت سعيدة بوجودها قريبة من دميان، تتمتع بحنان ذراعه التي احاطت بكتفها.

همس دميان في اذنها بعد انصراف آخر المهنئين:

- احسنت صنعاً يا صغيرتي... انظري من القادم.

عرفت كيت في القادم نحوهما والد كارول، جون اوليفر، الذي حيّ دميان بقوله:

- يا لها من مصادفة سعيدة. كيف حالك يا دميان؟

اجاب دميان ببرود:

- بخير، والحمدلله. كيف احوالك يا جون؟ كيت... اسمحي لي أن اعرفك بجون اوليفر. جون... اقدم لك كيت وارنغتون، خطيبتي.

تأمل جون اوليفر كيت قبل ان يقول:

- انت محظوظ بالفتيات الجميلات، الجميلات جداً يا عزيزي... اهنئك من كل قلبي.

سخر منه دميان:

- شكراً لأنك اشرت إلى ذلك، فأنا لم ألاحظ جمال خطيبتي من قبل.

انفجر جون ضاحكاً وقال لكيت:

- احذري هذا الخبيث يا آنستي، فهو لا يستقر على حال أبداً. تارة ترينه جدي الطباع، وتارة يحب المزاح. اسمحا لي ان اقدم لكما شراباً.

رفض دميان الدعوة قائلاً:

- شكراً، لا لزوم لذلك فنحن مرتبطان بدعوة الى الغداء، وقد حان الوقت لانصرافنا. هل انت جاهزة يا كيت؟

- اذن سنجتمع في بيتي هذا المساء. فزوجتي تريد التعرف على الآنسة كيت. سننتظركما في الوقت المعتاد يا دميان.

شكره دميان، وترك المكان مع كيت على عجل. وفي السيارة قال لها:

- لم يزل الوقت غير مناسب للاجتماع بجون اوليفر، فهو إنسان ماكر وقد يفسد اللعبة.

- اتخاف من وجودي معك الى هذا الحد؟

- المسألة لا علاقة لها بالخوف. لكنني لن اجمعك بجون اوليفر قبل ان تعرفي ما يجب ان تعرفيه عني حتى يزداد اقتناعاً باللعبة. ولا يفوتني ان اذكر هنا اتقانك لدورك امام اصدقائي واشراقتك التي جعلت الجميع يغبطونني عليك. امامنا ساعتان لزيارة المنجم.

- لكنك قلت اننا مدعوان الى الغداء.

- اسمحي لي انا ان ادعوك الى غداء ونزهة.

- فكرة رائعة. فالطقس دافىء، والحقول خضراء تنبض بالحياة.

اشترى دميان ما يلزم للنزهة وهو يقول:
- اشتريت كل ما يمكن ان نحتاجه، حتى السكاكين والملاعق. لم انس ايضاً شراء زجاجة من عصير الليمون الذي تفضلينه. والآن حان وقت البدء بالرحلة... اعرف مكاناً ممتازاً لمثل هذه الرحلات، لكن الطريق اليه متعرج وضيق.
- لا تهمني كيفية الوصول الى المكان بقدر ما يهمني قضاء ساعات حلوة.
- ستمضين ساعات رائعة ان شاء الله.
توقفا عند مكان مطل على البحر جعل كيت تعترف:
- عندما كنت في لندن، كنت اشق طريقي عبر شارع اوكسفورد كل يوم في مثل هذه الساعة، باتجاه مطعم الوميي لأتناول الغداء.
ابتسم دميان قائلاً:
- الحمد لله انك وجدت في بلدتنا الصغيرة ما قد ينسيك العناء الذي تتكبدينه للوصول الى هنا.
- هذا شيء لا يمكنني التأكد منه حتى تنتهي مسرحيتنا.
شرب دميان ما في كأسه من عصير قبل أن يفترش الأرض محاولاً الاسترخاء بين الحشائش، بينما جلست كيت تتأمله: (أسمر جذاب، رياضي الجسم... وسيم).
سألته فجأة:
- هل تحب السباحة؟
- نعم، احبها وامارسها حينما يسمح لي الوقت بذلك. يمكننا ان نذهب الى الشاطىء يوماً للسباحة إذا احببت.
غيرت كيت الموضوع:
- اعتقد ان وقت الذهاب قد حان.

- الا يمكننا ان نمكث هنا بعض الوقت؟ وجودي في هذا المكان يسعدني ويريح اعصابي.

وتلاعبت بها رغبة مجنونة شدتها إلى عالم الأفكار: (اتوق الى عناق هذا الرجل واراحة رأسي على صدره... لكن لا. إنها مجرد رغبة مجنونة ولن استسلم لرغباتي ابداً...) هزتها افكارها، فسقطت زجاجة العصير التي كانت تحملها من يدها، وسالت محتوياتها بين الحشائش. فاعتذرت من دميان الذي طمأنها بقوله:

- لا حاجة للاعتذار، فبقاء الزجاجة في الشمس هذه المدة الطويلة أفسد محتوياتها حتماً...

ثم تابع قائلاً:

- اتعرفين يا كيت اني احب ان احرجك، لانه يحلو لي ان اراقب دماء الحياء تغزو وجهك؟ واحب ان اطمئنك مرة اخرى اني لن استغل وجودنا سوية، فأنا التزم بوعودي مع انني من الصنف الذي تحتقرين.

لم تجد كيت الا الصمت درعاً تحتمي به. قال لها:

- بما انك لست من الفتيات اللواتي يسعين وراء المال والأغنياء، فاسمحي لي ان اسألك عن الصفات التي ترغبين بها في فتى احلامك، والهدف الذي تسعين اليه في حياتك.

نهضت وهي تقول:

- اسعى لايجاد حب ابدي. اما عن صفات فتى احلامي فأنا لم افكر بهذا الموضوع من قبل، لكن اعتقد انها تتوفر في المزارع.

- لكن المزارعين اناس يسعون وراء المال ايضاً.

- اذن فتى احلامي طبيب.... او ربما طبيب بيطري. الله اعلم. هل انتهى الاستجواب؟

- نعم، وسنذهب الآن الى المنجم حتى تتعرفي على منبع ثروتي.
تبعته وركبت الى جانبه في السيارة قبل ان تجلدها سياط فكرة واحدة: (إنني اخوض مع دميان سانت أوين معركة خاسرة).

٧ - دورها في اللعبة

أحست كيت اثناء زيارتها لمراكز اعمال دميان بأن لشخصيته وجهين: الوجه الهادىء البسيط الذي لفت انتباهها في حياته الخاصة، والوجه الممتلىء بالحيوية والنشاط الذي ظهر لها اليوم في محيط عمله.

سألته:

ـ هل انت المالك الوحيد لهذه الشركات كلها؟

ابتسم ساخراً:

ـ ما كل هذا الاهتمام المفاجىء بدنيا العمل؟ سأرى اذا كان لدي أي مكالمات او رسائل عاجلة، قبل ان نزور حوض بناء السفن.

وصلا الى قرية صغيرة في الجنوب يعتبر اهلها الصيد اساس

حياتهم. وقفت كيت في حوض بناء السفن، تراقب العمل يجري لبناء سفينتين، بينما كان دميان يرد تحيات العمال، ويشكر لهم ترحيبهم كأنه واحد منهم.

لفت ما يحدث انتباه كيت: (انه محبوب لحسن معاملته). كان دميان في طريق العودة يخبرها عن مشروع لتعليب السمك وتبريده، يفكر باقامته في تلك المنطقة. بقيت صامتة تستمع اليه بكل انتباه وهو يقول:

ـ لكن المشروع الذي ذكرته ما زال في مرحلة التخطيط. ان كورن وول يا كيت اكثر من منطقة للسياحة والاستجمام، إنها منطقة ذات اصالة وماض عريق، اعتمدت صيد السمك وسيلة للرزق منذ البداية. ويجب علينا نحن ابناء المنطقة ان نبعد خطر الانقراض عن هذه الحرفة اذا اردنا فعلاً الا نشوه تاريخها.

سحرتها حلاوة حديثه: (كلامه مقنع، ومشاريعه للمستقبل اعظم من ان تكون وسيلة لتجميع المال فقط. يظهر انني اخطأت في ضمه الى زمرة اصحاب الملايين الذين لا يعرفون للرحمة درباً...)

قال لها دميان ساخراً:

ـ بعد ان انتهينا من زيارة حوض بناء السفن، ستكون مقالع الحجارة محطتنا الثانية، حيث ستتعرفين الى منابع ثروتي التي تدعو للاشمئزاز!

ـ لماذا تصر على تذكيري بآراء لي فيها بعض التعصب؟

تمنت كيت ان يسألها متى او لماذا تغيرت اراؤ ها، لكنه لم يفعل.

استقبلهما هيوغو في مقلع الحجارة الذي يشرف على العمل في ارجائه. كانت اصوات الآلات تصم الآذان. والعمال في حركة دائمة لا تهدأ. وقف هيوغو الى جانبها وسألها بكل فخر:

ـ ما رأيك فيها ترينه يا آنسة كيت؟
ـ كل ما حولي رائع بحق.
كان هيوغو ينوي مرافقتها في جولة تفقدية للمكان، لولا تدخل دميان الذي اعتذر منه قائلاً:
ـ نحن مدعوان الى منزل عائلة اوليفر، ولا وقت لدينا الآن لمثل هذه الجولة، لأن على كيت ان تستعد للزيارة. لكنني اعدك ان نقوم بالجولة قريباً.
اثناء عودتهما الى البيت صادف دميان مجموعة من العمال، حياهم بحرارة قبل ان يقول:
ـ هذه المجموعة من العمال عملت يوماً مع ابي بكل اخلاص. واعتبر نفسي من المحظوظين لانهم يعملون الآن معي على الأسس الطيبة نفسها... لا اعتقد ان لدينا من الوقت ما يسمح لنا بزيارة المنجم لذا سنؤجلها الى وقت آخر. هل انت مستعدة لمواجهة عائلة اوليفر الليلة؟
ـ نعم، اعتقد ذلك. لكن لمَ نؤجل الزيارة الى المنجم؟
ـ ليس فيه ما يستحق المشاهدة.
تركها جوابه مع خيبة الأمل التي انستها دفء النهار وعذوبة الساعات الماضية معه: (لماذا لا يريد اصطحابي الى المنجم؟ ربما لأنني لا اعني له شيئاً... لمَ كل هذا الألم؟).
رافقها الشعور البغيض بقية النهار وأثناء الزيارة، رغم ان جون اوليفر وزوجته سعيا جاهدين لاسعادها. خاطبتها السيدة اوليفر قائلة:
ـ لقد فاجأنا دميان بنبأ الخطوبة. سيكون من دواعي سروري ان اجتمع بك في حفلاتنا واجتماعاتنا من الآن فصاعداً. دميان إنسان

رائع... اتمنى لكما السعادة.

لكن تمنياتها لم تستطع ان تخفي نبرة الحسد والغيرة التي تسربت الى صوتها، ولا نظرة القلق على مصير ابنتها التي اطلت من عينيها وهي تتأمل ملياً اناقة كيت وجمالها وكأنها تقول لها: (لماذا اختارك دميان وتناسى كارول؟).

دخلت كارول الى الغرفة في تلك اللحظة بكل فتنتها وجمالها، ومعها شابان في العقد الثاني من عمرهما. حيّت الجميع بلطف زائد، واقتربت من كيت ودميان مرحبة:

- اهلاً بكما... اريد ان اعرّف صديقيّ بآخر محطاتك الغرامية اذا سمحت يا دميان. اصدقائي، اقدم لكما الآنسة...

ردت كيت بسرعة:

- وارنغتون...

وتبعها دميان بقوله:

- الآنسة كيت وارنغتون.

داعبت كارول ذراعه بأصابعها قبل ان تقول:

- كان يجب ان اعرف ان سفينة قلبك سترسو في احد المرافىء يوماً. فحتى المحارب الشجاع لا يستطيع خوض المعركة وحيداً... الا توافقني؟

بقيت نظرات دميان باردة، والتزم الصمت. بينما كانت كيت تطرق باب الأفكار: (كارول لا تهم دميان ابداً، لذلك تعلق بحبال الصمت امام محاولات استفزازها. لا شك انه يعاملها معاملته لطفلة تنقصها الأخلاق...).

حولت كارول عاصفة سخريتها نحو كيت وقالت لها:

- رداؤك الأبيض انيق، وأغبطك على ارتدائه في الليل، فهذا

اللون لا يناسب اكثر الفتيات، وخاصة في الليل. . .

ـ لكنه والحمد لله يناسبني كثيراً. (يجب ان احافظ على هدوء اعصابي مهما كلفني الأمر).

ضحكت كارول وتركتها وحدهما قبل ان يهمس دميان:

ـ هل اقتنعت الآن بانها لا تناسب وضعي والظروف التي امر بها؟

ـ لكنها تليق بك مستقبلاً دون شك.

تهرب من الرد بقوله:

ـ دعينا نختلط بالموجودين.

تنقلا بين الموجودين سوية، وحاولت كيت جاهدة ان تنغمس بالأحاديث الدائرة، لكن محاولاتها باءت بالاخفاق لأن اكثر الكلام كان يدور في فلك اناس لا تعرفهم، يعيشون في دنيا لطالما احتقرتها. . . دنيا المال ورجاله. اتعبها الضيق والملل، وتمنت العودة الى البيت والهرب من هذا كله. لكن كارول عادت اليهما لتجعل رغبة كيت في الهروب مستحيلة التحقيق بقولها:

ـ عزيزي دميان. . . ابي يريد استشارتك بخصوص لجنة او ما شابه، لست ادري. لكنه يصر على وجودك. وقد طلب مني ايجادك. اما صديقتك، فلا تخف. عندي من يمكن ان يسليها. . . تيم، تعال لأعرفك بضيفة عزيزة اريدك ان تعمل على تسليتها حتى نعود.

ابتعدت كارول مع دميان، وتركت كيت مع شاب اشقر، نحيل الوجه، ضاحك العينين. اقترب منها قائلاً:

ـ اعتقد ان كارول لم تقم بمهمة التعريف كما يجب. انا الدكتور تيموثي ترنر وانت الآنسة. . .

ـ كيت وارنغتون. انا هنا بصحبة دميان سان اوين.

ـ اهلاً بالفتاة التي فعلت المستحيل بإقناعها ذميان سانت اوين

بفكرة السير على درب الحياة الزوجية. انه محظوظ بـالفتيات الجميلات دائماً. . .

ـ شكراً لك.

ـ اتريدين كوباً من الشراب؟

ـ لا، شكراً.

ـ ما رأيك اذن بالخروج الى الشرفة لاستنشاق الهواء النقي؟

ترددت كيت، لكن رغبتها في الهرب مما حولها دفعتها إلى القبول. حين وصلا الى الشرفة وقف تيم يتطلع حوله قائلاً:

ـ عندما ارى ما حولي من ثراء، افكر بالاستغناء عن الطب والاشتغال في تجارة الخزف. سمعت ان عجلة العمل ستعود للدوران قريباً في منجم دميان. هذا المنجم يعتبر من العلائم المعروفة في كورن وول. هل سبق لك رؤيته يا آنسة؟

ـ كلا مع الأسف. لم تسمح لي الظروف برؤيته حتى الآن.

ـ استغرب قولك، لأن دميان فخور جداً بالمنجم، ويعتبره من الأماكن التي يجب على الجميع زيارتها. وانا اؤمن ان الأقربين اولى بالمعروف. على كل حال تستطيعين ان تري اطلالة من هنا، اذا ساعدتك قليلاً على ذلك.

احاط وسطها بيديه محاولاً رفعها قليلاً حين سمعت ضحكة ساخرة خلفها. فاستدارت لتجد كارول ومعها دميان يقفان على عتبة الباب المؤدي الى الشرفة.

قالت كارول:

ـ وجدنا خطيبتك الغالية اخيراً يا دميان. . . اتعرف يا تيم، لقد تصور انك هربت مع حبيبة قلبه؟

اجابها تيم:

ـ فكرة لا بأس بها ابداً . . . اخبريني حالما تفكرين بذلك يا كيت .

لاحظت كيت ان براكين الغضب كانت تتفجر في عيني دميان: (لماذا الغضب؟ الطبيب يمزح . . .) .

قال لها دميان بعد تردد:

ـ هل انت مستعدة لمغادرة الحفل يا . . . عزيزتي؟ يجب ان نذهب.

كان الصمت يلفهما حين صعدا الى السيارة: (لماذا هو غاضب بهذا الشكل؟ لم يحدث ما يستحق ذلك. هل يمكن ان يكون غاضباً مني؟ لا اعتقد. . .) .

لكن كيت كانت على خطأ، لانهما ما إن ابتعدا عن البيت حتى اوقف دميان السيارة وقال معاتباً:

ـ كنت ممثلة فاشلة اليوم يا آنسة .

ـ ما الذي فعلته حتى استحق كل هذا التجريح؟

ـ لم تفعلي شيئاً سوى اظهاري بمظهر الغبي امام الناس. ما كدت اغيب لحظة حتى تركت المكان مع حضرة الدكتور.

ـ لقد اصبحنا الآن وحدنا، فلا حاجة لتمثيلية الغيرة هذه.

ـ عن اي غيرة تتكلمين؟ ارجو يا آنسة ان تحترمي ما بيننا من اتفاق في المرات القادمة. اطلب هذا، رغم علمي بان الاطباء هم على رأس قائمة من تفضلين من الرجال. لكن الظروف التي امر بها لا تترك لي مجال التسامح مفتوحاً، لأن اي غلطة قد ترتكب من جهتك، فيها افتضاح لأمرنا امام كارول التي لم تقتنع بالموضوع حتى الآن، وقد تكلفني الصفقة بكاملها، اذا لم نتقن التمثيل امام القادمين من كندا.

ـ كلامك سخيف جداً يا سيدي، لأنك اذا حاسبت نفسك

جيداً، فسترى انك اخطأت ايضاً بترك كارول تسخر مني، وتعاملني وكأنه لا كرامة لي.
- لا تكوني حساسة بهذا الشكل.
- اذن، اهدأ انت، ودعني اقول لك ان الدكتور ترنر كان يحاول ان يريني المنجم الذي الغيته من برنامج زياراتنا اليوم. هذا كل ما في الأمر.
- وما الذي يفهمه هذا الطبيب في دنيا المناجم؟
- ربما لا يفهم شيئاً، لكنه استغرب عدم زيارتي للمنجم حتى الآن، مع انه مجال للفخر بالنسبة اليك.
- حسناً، إذن سنذهب الآن لزيارة المنجم.
- لكن الليل على الأبواب!
- كفّي عن مناقشتي، لأننا سنذهب الى هناك مهما كانت الظروف.
وبّخت كيت نفسها: (الم يكن من الأفضل الا تصرّي على طلبك؟ غريبة امواج الفرحة التي تتقاذفني...).
قاد دميان السيارة حتى منطقة معينة في المروج، دعاها بعدها للسير على الأقدام محذراً:
- انتبهي، فالطريق وعرة.
لكنها تعثرت، والتصقت به خوفاً من التهاوي. فأمسك يدها وراح يقودها قائلاً:
- لماذا ترفضين الاستماع للنصائح... الم تأتي بسترة معك تقيك برد الليل؟
- لم ار ضرورة لذلك، فالليلة دافئة.
مشيا بين المروج بينما كان الليل يزحف ثقيلاً اسود ليغطي كل

شيء. حين توقفا في اعلى التل قال دميان:

ـ ها هو المنجم الحلم... انت الآن امام ويل دورا.

كانت منطقة المنجم لا تختلف عن غيرها من مناطق كورن وول، الا بالأبنية المهجورة المنتشرة فيها.

شرح لها دميان مشيراً الى احد الأبنية:

ـ وضعت في هذا البناء اول آلة بخارية عرفتها المنطقة في اواخر القرن الماضي. لكن الأبنية الآن مهجورة، متهدمة، تأوي اليها العصافير.

داهم كيت شعور غريب بالحزن وهي تتأمل الأبنية المتداعية: (هذه الأبنية كانت مليئة بالحياة والحركة، لكنها اليوم مهجورة متداعية تجابه الزمان وحدها...).

سألت دميان:

ـ ما هو سبب اغلاق المنجم؟

ـ تكاليف استخراج القصدير الباهظة في بلادنا، ووجودها بأسعار افضل في استراليا والملايو.

تأملت كيت دميان: (اخجل من نفسي لأنني تصورت في يوم من الأيام أن افتتاحك للمنجم يا دميان ليس سوى طريقة لزيادة ثروتك. لكنني ايقنت الآن ان افتتاح المنجم من جديد ثروة اعظم من ان تقدر بمال. سامحني على سوء ظني).

رجته قائلة:

ـ اريد ان اعرف كل شيء عن المنجم. ما اصل كلمة (ويل) مثلاً؟

ابتسم قائلاً:

ـ اصل كلمة (ويل) كوروني، ومعناها منجم. كان هناك الكثير

من المناجم تحمل اسماء مشابهة في الماضي مثل: ويل فور وويل جويل.

- ما احلاها من أسماء!

- وما اقساها من حياة! هل جربت التواجد ليوم واحد مع عامل منجم في بطن الأرض؟ لا اعتقد... والا كنت عرفت لماذا يسميه الكثيرون، وانا واحد منهم، «اساس المهنة». فهو يستحق هذا اللقب بالفعل. حياة عمال المناجم القاسية، جعلت من شباب كورن وول رجالاً اشداء اقوياء...

- لكن التقدم التقني شمل اليوم عمليات التنقيب في المناجم.

- قد يخفف التقدم التقني الذي تتكلمين عنه الضغط عن العامل لكنه لن يريحه تماماً. ورغم ذلك كله، احلم بفتح المنجم من جديد، حتى انقذ الكثير من شباب المنطقة من البطالة.

رجته ان يستمر في الحديث فقال لها:

- قصتي مع المنجم طويلة يا كيت... بدأها والدي حين كان يحملني الى هنا، ويجلس على هذه الصخرة بالذات، ليسرد عليّ القصص والحكاية عن ماضي المنجم المجيد. مضت سنين طويلة بقي فيها فتح المنجم حلماً من اغلى احلامي، لذلك درست في التنقيب عن المعادن، وقررت مع والدي اعادة فتح المنجم بمجرد ان تخرجت. تحمس للفكرة كثيراً، وقام معي بالكثير من الدراسات الجيولوجية والمادية. لكن الموت كان له بالمرصاد، فاختطفه مع امي في ليلة مؤلمة شب فيها حريق في القصر القديم.

حاولت كيت كفكفة دموعها قبل ان تقول:

- انا آسفة يا دميان..

(نعم انا آسفة لسوء ظني بك... آسفة لأنني اجبرتك على

المجيء الى هنا... اسفة لأنني اعدتك الى الماضي وذكرياته المؤلمة... انا آسفة جداً، صدقني).

اقتربت منه ولامست ذراعه بأصابعها مواسية، على الرغم من خوفها الشديد من رفضه لمواساتها. لكنه استدار نحوها، واحتضن يدها قبل ان يضمها اليه بقوة اضعفتها، وتركت رأسها الصغير يغرق في خضم صدره العريض.

احتضن وجهها بين يديه وهو يقول:

ـ مررت بلحظة ضعف. انسيها واعذريني.

تاهت في بحر عينيه: (لماذا الاعتذار يا دميان؟ لماذا انسى جانباً منك هز كياني بالعطف والحنان؟ لا... لن انسى هذه اللحظات معك ابد الدهر).

مرت دقائق نسيهما الزمن فيها، قبل ان يمسك دميان بكتفيها قائلاً:

ـ لم استطع تنفيذ وعدي لك... انا آسف.

وبالسرعة التي اقترب فيها منها، ابتعد عنها متجهاً نحو السيارة. تسمرت كيت في مكانها فترة قصيرة حاولت خلالها السيطرة على عواطفها قبل ان تلحق به. ورافقهما الصمت مرة اخرى على طريق العودة الى المنزل، حيث استقبلتهما ماريان قائلة:

ـ تناولت العشاء مع زوجي قبل حضوركما، لأننا لم نعرف موعداً محدداً لرجوعكما. كيف كان الحفل؟ اعتقد ان كيت كانت اجمل من فيه.

قال دميان:

ـ هذا صحيح... كانت نجمة الحفل، ومحط انظار الجميع.

نظرت كيت اليه: (ها انت تعود يا دميان الى صورتك القديمة.

هل للجانب الذي اكتشفته فيك الليلة وجود؟ ام انه مجرد سراب خادع ظهر في افق حياتي الظمأى للعطف والحنان؟).

استدارت كيت لتصعد الى غرفتها، فلاحظ دميان قشاً عالقاً على طرف ثوبها. فقال لماريان:

ـ في الحقيقة، نحن لم نذهب الى الحفل فقط...

توسلت اليه نظرات كيت: (ارجوك يا دميان... ارجوك لا تقل شيئاً. اريد للحظات التي عشناها سوية، ان تبقى سراً حلواً بيننا...).

لكن دميان لم يفهم، وتابع قائلاً:

ـ بعد انتهاء الحفل ذهبنا الى المنجم...

مزقت خناجر الألم كيان كيت، بينما كانت ماريان تقول:

ـ مثل هذه الزيارة شيء متوقع.

احست كيت بألم يعصر رأسها، فاعتذرت قائلة:

ـ لن استطيع تناول العشاء الليلة. رأسي يؤلمني.

احاط دميان كتفها بذراعه قائلاً:

ـ ما هذا الألم المفاجيء؟ لماذا لم تقولي لي شيئاً من قبل؟

ـ انها مجرد اوجاع رأس لا اكثر، فلا لزوم للقلق.

ـ سآمر لاطمئن عليك قبل النوم.

ـ لا تتعب نفسك. انه مجرد عارض بسيط.

لاحقتها نظرات الاستغراب في عيني دميان، حتى وصلت الى غرفتها حيث غيرت ملابسها، واسترخت في سريرها. اتتها ماريان بعد قليل بوجبة خفيفة وكوب من الحليب، وجلست تحدثها عن الثنائي الجديد، وتؤكد لها انه يمكن الاعتماد عليها في الظروف الدقيقة القادمة.

قالت لها كيت:

ـ ينتظرنا الكثير من العمل في الفترة القادمة.

ـ فعلاً... فكل شيء يجب ان يكون اقرب الى الكمال.

ـ اتمنى ذلك، رغم انني لا استطيع فهم البحث عن الكمال في مثل هذه المواقف.

ـ ذلك لأنك لم تعتادي بعد فكرة كونك زوجة رجل أعمال. في عالم رجال الأعمال يا كيت، تميل كفة ميزان النجاح دائماً الى طرف الانسان الأكثر دقة.

فكرت كيت: (واعرف ايضاً انه في عالم العمل هناك بعض الرجال الذين لا يعرفون سبل الرحمة... بعضهم فقط).

خرجت ماريان بعد ان اتمت كيت وجبة العشاء الخفيفة، وعادت الى الاسترخاء في فراشها وهي تسأل نفسها: (ترى هل سيمر بي كما وعدني؟).

سمعت وقع خطواته تقترب، فغطت نفسها جيداً قبل ان تسمع طرقاته الخفيفة على الباب.

قالت له بصوت ضعيف:

ـ تفضل...

دخل الى الغرفة:

ـ جئت لاطمئن عليك، هل انت بخير؟

ـ نعم ... انا بخير، الحمد لله.

ـ هل الغرفة دافئة؟

ـ نعم، اطمئن.

ـ جئت لاطمئن عليك اولاً، ولأخبرك انني مضطر للسفر غداً الى الشمال، لحل مشكلة تتخبط فيها احدى شركاتي هناك. ولن

استطيع العودة قبل يوم الجمعة القادم. مما سيضطرك لاستقبال وارن لندسي وابنته وحدك.

ـ هل اخبرتهما عني من قبل؟

ـ اضطررت الى الاحتماء بالخدعة، منذ ان بدأت مادلين لندسي تلاحقني. الا انك جسدت الفكرة في ذهني اثناء عودتي من هناك.

ـ هل تعني انه يجب علي توقع سعي جديد لشغل قلبك من الآنسة مادلين ايضاً؟

ـ السخرية لا تناسبك يا كيت، فكفي عنها.

ـ انه مجرد سؤال ابحث عن جواب له عندك.

ـ وهل يجب ان نناقش مثل هذه الأمور الآن؟

ـ لا مانع عندي ابداً من مناقشتها، فهي السبب الأول والأخير لوجودي هنا. اليس كذلك؟

تحرك نحوها، فركضت كيت الى افكارها: (لا تقترب مني ارجوك. . . ان رغبة مجنونة بضمك وعناقك تتلاعب بقلبي. اكاد افقد السيطرة على نفسي. . . اما انت، فما زالت عواطفك ومشاعرك تحت سيطرتك. استطيع ان اكتشف ذلك من تعابير وجهك ونظراتك. اني احسدك فعلاً على ثباتك وتوازنك).

وقف دميان قريباً من السرير قبل ان يجيب على سؤالها بقوله:

ـ سألتني اذا كان مجيء وارن لندسي وابنته هو سبب وجودك هنا، واقول بصراحة انه اذا سارت الأمور على ما يرام، فقد يكون لوجودك اكثر من سبب في المستقبل، والله اعلم. تصبحين على خير يا عزيزتي.

حارت كيت في امرها بعد خروجه من الغرفة: (لماذا لم يحتضن يدي؟ لماذا لم يداعب خصلات شعري؟ احمد الله انني تمالكت نفسي

حتى لا يجرح كرامتي بالرفض، كما يفعل مع كارول. علي ان احمي قلبي من الوقوع في شرك حبه، حتى لا اضطر يوماً لملاحقته، كما تفعل مادلين التي تسافر للقائه رغم المسافات، آملة التمتع برعايته وحنانه. سأنجح في تمثيل دور الخطيبة. وبعدما اطمئن على استقرار مربيتي، سأعود الى لندن لأتابع مسيرة حياتي في غرفتي، بين صديقاتي، وفي وظيفتي... اما دميان سانت أوين فسأحاول نسيانه... سأنساه) ومزقت دموع كيت كبد الليل...

٨ - سيل العواطف الجارف

قضت كيت ليلتها فريسة للقلق والأرق، مما ارهقها ومنعها من رؤ ية دميان قبل رحيله.

حين عاد إليها نشاطها، قررت ان تمضي نهارها بتنظيف الكوخ استعداداً لقدوم المربية، علّ العمل الشاق ينسيها همومها. ارتدت ثياباً بسيطة، ونزلت الى البهو حيث وجدت عجلة العمل تدور بسرعة وخفة تحت اشراف مديرة البيت الجديدة السيدة غريسون، ذات العينين الصغيرتين والقامة القصيرة.

عرّفتها السيدة غريسون بنفسها قبل ان تشرح الوضع بقولها:

ـ سنقوم اليوم بعملية تنظيف شامل للبيت ما دام السيد في رحلة.

لم تستطع كيت مقاومة حنينها لذكريات ماض قريب بعيد: (في

يوم من الأيام كنت اعيش في بيت سعيد، يحوم حولي الخدم والحشم لتنفيذ اي امر من اوامري . . . لكن هذا كله ذهب ادراج الرياح، فلا لزوم للتحسر على ماض ولى ولن يعود. جميل ان اكون السيدة الأولى لهذا البيت، اشارك دميان آماله، احلامه، وآلامه. . . لكن دميان لا يهتم بي. كفاني احلاماً. . .).

صحت من احلامها على صوت ماريان تقول:

ـ اعتقد ان السيدة غريسون كنز ثمين، فهي تستطيع الطبخ بالاضافة الى كونها مديرة بيت ممتازة كما تلاحظين. سأتركك قريباً ان شاء الله وانا مرتاحة الضمير.

ـ انتما مصران على الذهاب اذن؟

ـ نعم. . . وسنفعل ذلك بعد زواجك من دميان مباشرة، فقد وجدنا بيتاً مريحاً في ترورو. الحمد لله. . . كل شيء يسير على ما يرام.

ـ كل شيء يسير على ما يرام فعلاً.

وصول عربة مؤونة اللحم انهى الحديث بين المرأتين. ولما لم تجد كيت شيئاً تفعله في المطبخ، جهزت نفسها بما قد يلزمها، واتجهت عبر المروج الى الكوخ لتنظيفه.

استغرقت عملية التنظيف بضع ساعات امضتها كيت في الكنس والمسح. لكن ذلك لم ينفعها في نسيان ليلة الأمس بكل حوادثها: (الى متى سأبقى هاربة من الحقيقة؟ سيطر التفكير بدميان على عقلي وشغل قلبي. . . إن حبه يجري في دمي).

جاءت السيدة نوريس تعرض خدماتها، عندما رأت باب الكوخ مفتوحاً. شكرتها كيت وودعتها في محاولة للهرب من نظراتها الفضولية التي حملت الف سؤال وسؤال: (ربما وصلت اخبار

الخطوبة الى القرية، والسيدة الطيبة تريد السؤال والاستفسار، او ربما التهنئة. لكنني اليوم غير مستعدة لذلك مع الأسف).

عندما وصلت كيت الى البيت، كان العمل في تنظيفه وترتيبه مستمراً. قالت لها السيدة غريسون:

- انتهينا من تنظيف غرفة المكتبة. يمكنك استعمالها إن اردت.

دخلت كيت غرفة المكتبة، واتصلت بالمربية في بريستول لتجدها في قمة السعادة.

- آنسة كيت... اكاد لا اصدق ما يحدث لي. كنت مشغولة قبل قليل بتجهيز الحقائب. السيد فوغارتي وزوجته يقومان بعمل كل شيء لمساعدتي، بناء على طلب السيد سانت أوين... يظهر ان له مكانة خاصة في قلوب كل من يعرفه.

- صدقت... مكانة خاصة جداً.

تابعت المربية:

- انني في غاية الشوق لرؤ ية الكوخ وكل ما يحيط به. سأصل قبل الأغراض، لأن شحنها يتطلب وقتاً.

بعد انتهاء المكالمة، اتجهت كيت الى المطبخ لشرب كوب من الشاي مع ماريان، وانضمت اليهما بعد قليل السيدة غريسون وزوجها الذي نادته من الحديقة.

ابتدأت الجلسة في جو رسمي تلاشى شيئاً فشيئاً، لتنتهي بحديث عن الورد ذكرها بنوعين او ثلاثة من الازهار كانت تحبها، وتعتني بها في حديقة بيتها في الماضي.

انتهت الجلسة، وعادت كيت الى افكارها: (نجحت حتى الآن في كسب ود من في البيت اكثر من نجاحي بتمثيل الدور المطلوب مني امام اصدقاء دميان. لكنني مع ذلك، سأظل احاول، علني اساعده

في تحقيق حلمه، وسأنجح باذن الله، لأن في نجاحي تأكيداً لقدراتي، وتثبيتاً لجذور كبريائي. . لا استطيع ان اتصور كم تجنب دميان من المواقف ليبقى بعيداً عن الزواج، لكن يمكنني القول انه محطم لقلوب العذارى. . . تضحكني الفكرة فعلاً. هل وقعت في حبه؟ لا ادري، لكنني سأحاول الوصول الى جواب اثناء فترة غيابه. والله اعلم. . . ربما كنت كذلك بالفعل).

في صباح اليوم الثاني زينت كيت زوايا البيت بباقات الورد والأزهار، فعاودها الحنين الى الماضي: (يذكرني كل شيء في هذه الفترة بالسنة التي قضيتها في فرنسا، بناء على اصرار ابي الذي بعث بي الى احدى المدارس هناك لاتعلم فن السلوك الاجتماعي، واصول ادارة البيت. كانت سنة رائعة، والفرصة سانحة الآن لأعود وامارس ما تعلمته).

في الساعة الحادية عشرة من قبل ظهر اليوم الثاني، كانت كيت بكل بهائها واناقتها تنتظر دميان القادم من الشمال: (انتقائي لهذا الفستان الأخضر الرائع، واعتنائي بترتيب شعري وزينتي من مقومات نجاحي في الدور الذي امثله. يجب ان اكون جديرة بلقب زوجة المليونير من مختلف النواحي).

تصاعدت ضربات قلبها، وهي تسمع صوت محرك سيارته وهي تقترب من الباب الرئيسي.

عانقته عند باب البيت مرحبة:

ـ احمد الله على سلامتك يا عزيزي. . . ما اسعدني بعودتك.

تأملها ملياً قبل ان يقول:

ـ سبحان الذي يغير ولا يتغير. . . ما الداعي لكل هذا التغيير يا ترى؟ كانت شروطك الا نمثل مثل هذه الأدوار العاطفية الا بين

الناس. والاحظ اننا وحدنا في الوقت الحاضر. ارجوك لا تحاولي ان تقنعيني انك وقعت في حبي بين ليلة وضحاها!

ابتسمت قائلة:

ـ لم يطرق حبك باب قلبي، فاطمئن. لكنني اعيش مرحلة تمرين بعد ان اقنعت نفسي بانني جزء لا يتجزأ من الخدعة الكبرى. وعلي الآن ان احاول الاقتناع بانك رجل احلامي، حتى تكتمل الصورة... خطوات غير متوقعة، اليس كذلك؟

رد عليها بابتسامة جعلتها تهمس لنفسها: (غيابه عذب قلبي المسكين اكثر).

سألته:

ـ الا يعجبك هذا التغير؟

ـ يعجبني طبعاً... لكنني احاول الاعتياد عليه.

تناول حقيبة ملابس صغيرة من الصندوق وهو يقول:

ـ هل معنى هذا انك اشتقت الي يا حبيبتي؟

ـ اشتقت اليك، وافتقدت وجودك.

داعب دميان كلبه قائلاً:

ـ هل كنت الحارس الأمين لحبيبتي كيت اثناء غيابي يا جيت؟ انها تبدو رائعة هذا الصباح.

وضعت كيت يدها في يده قبل ان تسأله، وهما في طريقهما الى البيت:

ـ هل استطعت حل مشكلة الشركة في الشمال؟

ـ توصلت الى حل مؤقت، لكن الهيئة الادارية ما زالت تثير شكوكي. لذلك يجب ان ابقى يقظاً.

انسحبت كيت الى افكارها: (انا سعيدة... سعيدة جداً، لأننا

نتكلم كالمتزوجين. ذكريات هذه الفترة ستعذبني كثيراً عندما يقرع ناقوس الرحيل).

وتسابقت الدموع الى عينيها. سألها دميان:

ـ ما الداعي لهذه الدموع يا كيت؟ لا تحاولي اقناعي بانها دموع الفرح برجوعي.

ـ اعتقد ان جسماً غريباً دخل في عيني، فسالت الدموع... هذا كل ما في الأمر.

كفكف لها دموعها بمنديله قبل ان يسأل:

ـ هل تشعرين الآن بتحسن؟

خافت من وجوده بقربها، فحاولت الابتعاد قائلة:

ـ نعم. شكراً لك....

لامست اصابعه وجهها برقة وهو يقول:

ـ اشتقت لك يا كيت... اشتقت لك كثيراً.

اطالت النظر الى وجهه: (لا يمكن ان يكون كل هذا مجرد مشاهد من تمثيلية. كم اشتاق لعناقك يا دميان).

عاد بها الى الواقع صوت ماريان الذي امتزج فيه الرعب بالألم وهي تقول:

ـ وقع حادث في مقلع الحجارة. يقول بعضهم ان هيوغو...

وخنقتها العبرات قبل ان يندفع دميان نحوها قائلاً:

ـ اذهبي الى السيارة حالاً يا ماريان، وسألحق بك خلال دقائق.

اسرعت ماريان لتنفيذ اوامره، بينما سألته كيت وهو يستعد لقيادة السيارة:

ـ وماذا عن الضيوف القادمين من كندا يا دميان؟

ـ لا يهمني الآن الا سلامة هيوغو يا كيت.

تابعت كيت السيارة بنظراتها، حتى اختفت في المنعطف.

مضت ساعات مشحونة بالقلق لم يصل فيها اي خبر جديد عن حادث المقلع، واحتارت كيت فيما يجب عمله: (هل اتصل بهم للاطمئنان؟ هل اذهب اليهم؟ والضيوف القادمون من كندا. لا... سأبقى هنا واكمل دوري حتى النهاية. لقد وعدت ان اساعدك في تحقيق حلمك يا دميان، ووعد الحر دين عليه).

حين لاحت في سماء المنطقة طائرة مروحية، عرفت كيت ان الضيوف قد وصلوا. فاستعدت لاستقبالهم.

حطت الطائرة في المنطقة القريبة من الفسحة المحيطة بالبيت، ونزل قائدها وصافح كيت قائلاً:

- صباح الخير يا آنسة. اتيتك باثنين من المسافرين.

- انا بانتظارهما منذ الصباح...

- لكن ضيوفك في حالة صحية سيئة. طلبت منهما ان يرتاحا قليلاً قبل ان نقلع من جديد. لكن الرجل رفض الفكرة رفضاً باتاً. يؤسفني ان اتركهما على هذه الحال، لكن عندي برنامج طيران مكثف... فهل تستطيعين تدبير الأمر وحدك؟

- اعتقد ذلك.

- اذن الى اللقاء.

واتجه الطيار الى الطائرة في الوقت الذي نزل منها رجل في العقد السادس من عمره، وسيم، ابيض الشعر، كثيف الحاجبين، ذو نظرات حادة، وفتاة شقراء ترك دوار السفر بصماته الصفراء على وجهها، وكادت تسقط لولا قائد الطائرة الذي حملها ووضعها على حشائش المرج بعيداً عن طائرته، ثم انصرف.

كانت كيت راكعة امام المريضة حين سمعتها تقول قبل ان تغيب

عن الوعي تماماً:
- اكاد اموت. . .
احست كيت انها بحاجة لمساعدة عاجلة، فنادت غريسون الذي كان يقف قريباً منها، قائلة:
- آت بأحد الكراسي البيضاء الصغيرة من فضلك، حتى يريح السيد لندسي نفسه.
اجلست السيد لندسي على الكرسي وهي تقول:
- ارح نفسك قليلاً. . . وسننقل ابنتك الى الداخل لاسعافها.
تهالك على الكرسي شاكراً، بينما حملت هي الفتاة الى الداخل مع السيدة غريسون التي اسرعت للمساعدة. مددتا الفتاة على اريكة، وغطتها السيدة غريسون بغطاء ابيض اتت به من غرفتها قبل ان تقول:
- اهتمي بالضيف الكبير، واتركي الفتاة في رعايتي، فقد اعتدت على اسعاف هذه الحالات، لأن ابنتي كانت تشكو منها كثيراً في كل مرة تركب سيارة.
شكرتها كيت على المساعدة، وصبت كوباً من عصير التوت المثلج اخذته معها، لتقدمه الى السيد لندسي الذي كان جالساً على الكرسي الصغير يتصبب عرقاً وحوله حقائب الرحلة.
اقتربت منه متسائلة:
- هل تشعر بتحسن الآن يا سيد لندسي؟ اتيتك بكوب من عصير التوت المثلج. ارجو ان يساعدك في استعادة نشاطك.
كان مغمض العينين حين قال:
- شكراً لك. . . يساعد عصير التوت فعلاً على استعادة النشاط. ابقي معي قليلاً من فضلك، فأنا ما زلت اشعر بالضعف.

كانت الشمس تتربع حادة في صدر السماء. فخافت كيت ان تصيب حرارتها السيد لندسي بضربة شمس تزيد من ضعفه، وتعطل رحلة عمله. فأتت بمظلة حديقة كبيرة، وحملتها له ليستظل بظلها فترة من الزمن، حتى استعاد قوته وقال لها:

- انا الآن بخير، شكراً لك. ارهقتني رحلة الطائرة المروحية... كيف حال مادلين؟

- السيدة غريسون، مديرة البيت تهتم بأمرها. ستكونان بخير بإذن الله خلال فترة وجيزة. اما عن دميان فهو يعتذر كثيراً لعدم تمكنه من استقبالكما، لأن حادثاً حصل في المقلع هذا الصباح استدعى وجوده بشكل عاجل.

- آسف للحادث، ولا حاجة للاعتذار، لأن احداً لا يستطيع رد القضاء... لا شك انك خطيبته التي تحدث عنها كثيراً اثناء وجوده في كندا، ووصفها بالجميلة ذات الشعر الداكن... كان يجب ان اعرفك من اوصافك، لكنني مع الأسف نسيت اسمك.

- اسمي كيت وارنغتون، يا سيد لندسي.

- نعم، نعم... الآن تذكرت. سأتحرك الآن نحو الظل، فقد استعدت قوتي ولله الحمد.

- هل انت واثق من استعادتك لقوتك؟

اكد لها ذلك، واصر أن ما رأته من ضعف كان بسبب الرحلة الطويلة لا اكثر.

ثم قال:

- اتعرفين يا كيت، انني في الواحدة والستين من عمري ومادلين ابنتي الوحيدة؟

- حفظها الله لك يا سيد لندسي.

(فهمت الآن لماذا اعتبرها دميان مأزقاً. . . كيف يمكن ان تقول لرجل ليس له سوى ابنة وحيدة «أنا آسف. . . لا احب ابنتك»؟ انها مهمة شبه مستحيلة).

وصل وارن لندسي الى الفسحة الظليلة، واختار احد الكراسي لجلوسه قبل ان يقول:

- اعشق البقاء في الهواء الطلق عندما اكون في مثل هذه الظروف الصحية. تستطيعين الدخول إذا اردت. ولا لزوم للقلق، فأنا الآن بألف خير. لكنني اريد الاطمئنان على ابنتي مادلين، فهل بامكانك ان تخبريني عنها من فضلك؟

- سأطمئنك عليها حالاً يا سيد لندسي.

استدارت لتدخل غرفة الجلوس عندما سمعت سيارة تشبه بصوت محركها سيارة كارول: (إلهي. . . اتوسل اليك. ابعد كارول من طريقي اليوم. اليوم فقط. . .).

اطلت على المدخل الرئيسي من ناحية الحديقة، فوجدت امام البيت سيارة سباق صفراء نزل منها شاب اسمر، وسيم، طويل، يشبه دميان الى حد بعيد: (لا بد ان دميان كان بنضارة هذا الشاب قبل ان تثقل المسؤوليات كاهله).

حين رآها الشاب سارعت إلى القول:

- لا بد انك مايك، شقيق دميان. اهلاً بك. . .

اقترب منها مصافحاً، وابتسامة حلوة تضيء وجهه:

- اهلاً بك. لا بد انك كيت خطيبته. . . اعلمني اخي بنبأ الخطوبة يوم امس على الهاتف.

- هل فاجأك الخبر؟

- لم يفاجئني فقط بل صعقني، لانني لم اتصور ان دميان سيتزوج في

يوم من الأيام. لكنني بعد ان رأيتك فهمت سبب اقتناعه المفاجيء بالزواج.

سرت بكلامه وشكرته، ثم تابعت تقول:

ـ لم يخبرني دميان باحتمال قدومك، ويؤسفني ان اقول لك ان هيوغو كان ضحية حادث مؤلم في مقلع الحجارة، مما اضطر دميان الى الذهاب الى هناك، وبقيت انا لاستقبال الضيوف.

ـ مسكين هيوغو. . . شاب طيب ونشيط، لكنه سيء الحظ. هل تريدين مني الذهاب الى المقلع للاستفسار عن الأحوال؟

ـ ارجوك افعل ذلك. لكن بعد ان ترحب بضيوفنا من آل لندسي. فهم غرباء، ويجب علينا مراعاتهما.

ـ ارى انك تقومين بذلك على اكمل وجه.

قامت كيت بتعريف الرجلين على بعضهما، فتصافحا وقال مايك:

ـ آسف لما حدث لك بعد الرحلة الطويلة المتعبة. واتمنى ان تستعيد نشاطك بسرعة. اعتذر عن عدم وجود اخي، واظنك علمت بحادث اليوم في مقلع الحجارة. . .

ـ انه حادث مؤلم فعلاً. هل لديك تفاصيل عنه؟

ـ ليس لدي اي تفاصيل حتى الآن، لكنني سأذهب للاستطلاع. وكلي ثقة بالأيدي الأمينة الموجودة هنا لرعايتك.

تطلع السيد لندسي نحو كيت مؤكداً:

ـ ايد امينة، وجميلة ايضاً.

ابتسم مايك لكيت قبل ان يقول لها:

ـ سأحيي الآنسة مادلين، ثم اذهب.

كانت مادلين مسترخية على الاريكة في محاولة للتخلص من

الارهاق الذي اصابها. اطالت كيت النظر اليها: (مادلين فتاة رائعة الجمال. عيناها نجلاوان. فمها صغير. بشرتها رائعة. ممشوقة القد ونحيلته. . .).

فتحت مادلين عينيها متسائلة:

- اهذا انت يا دميان؟ لا . . . لست دميان.

قال لها مايك:

- طبعاً لست دميان.

اعتدلت مادلين في جلستها قليلاً:

- اذن من انت؟

- مايكل سانت أوين شقيق دميان الأصغر في خدمتك يا آنستي. هذا طبعاً اذا لم تعتبريني الأمير الذي ايقظ مجيئه الأميرة النائمة. اتعرفين القصة؟

- اعرف القصة، وبإمكاني اعتبارك الأمير.

- هل هذا يعني انك تسمحين لي بعناقك؟

- لا تتعجل الأمور.

- اسمحي لي اذن ان اعتبر قولك وعداً عليك الوفاء به.

ثم التفت الى كيت قائلاً:

- سأذهب الآن يا كيت.

بعدها عاد الى مادلين وقال لها:

- انا مضطر للذهاب الآن، لكنني سأعود. فابقي هنا ارجوك.

ردت مادلين:

- وهل يوحي لك وضعي بانني استعد للذهاب الى اي مكان؟

ودعها بنظراته، وذهب الى السيارة.

قالت مادلين لكيت:

ـ شاب ظريف، واكثر وسامة من دميان. . . انا آسفة. نسيت انني امام خطيبته التي لن توافقني على كلامي حتماً. لقد اخبرنا عنك الكثير عندما كان بيننا في كندا. أزعجتني رحلة الطائرة المروحية كثيراً. كيف حال أبي؟

ـ إنه بأحسن حال والحمدلله، اطمئني.

(انها جميلة مثل كارول اوليفر. لكنها تبدو احسن طباعاً. . .).

ـ قالت السيدة التي اسعفتني انها ستأتينا ببعض القهوة.

شغلت الحيرة كيت: (ما الذي يريده دميان سانت اوين في زوجة المستقبل؟ لماذا لم يختر مادلين رغم كل ما تتحلى به من صفات؟).

اتت السيدة غريسون بفناجين قهوة للضيوف، فقالت مادلين:

ـ شكراً لك. ستكون لذيذة الطعم دون شك.

قالت السيدة غريسون:

ـ اتمنى ان تعجبك يا آنسة، فقد تعلمت اصول صنعها من عائلة امريكية قضيت فترة مع افرادها. لقد احضرت فنجاناً من القهوة لك ايضاً يا آنسة كيت. حقائب الضيوف اصبحت في الغرف المعدة لهما، والغداء جاهز.

ـ سأتناول القهوة في الحديقة مع السيد لندسي، شكراً لك.

ـ كما تريدين يا آنسة.

كان السيد وارن لندسي ما زال جالساً في مكانه، عندما اتت كيت لمجالسته. قال لها وهو ممسك بيدها:

ـ قهوتكم لذيذة جداً، ولا تقلقي بشأننا يا عزيزتي، فكل شيء سيكون على ما يرام ان شاء الله.

تبعتها مادلين الى الشرفة، وجلست تتأمل اطلالاً ظهرت بعيدة في الأفق:

- انا على يقين ان كل شيء سيكون على احسن حال يا والدي.

وبعد ان انتهت المجموعة من شرب القهوة، قادتهما كيت الى الغرف المعدة لراحتهما، وعادت الى المطبخ لترى ماذا اعد للغداء. كانت ماريان قد اعدت قبل الحادث وليمة فاخرة للقادمين. قالت السيدة غريسون:

- لا تقلقي بشأن الطبخ في غياب ماريان يا آنسة كيت. انا استطيع طبخ كل شيء تقريباً، لكنني سأكون بحاجة الى اشرافك بالنسبة لتنظيم الوجبات.

- شكراً على محاولتك المساعدة، واعتقد انك افضل من يمكن ان يحل محل ماريان. وهنا لا يفوتني ان اذكر ان الجميع اعجب بقهوتك.

- تسرني مثل هذه الأخبار. وباشرافك سيسير كل شيء سيراً حسناً.

- اتمنى ذلك. سنتناول الغداء في الواحدة. وارجو ترتيب المائدة لأربعة، فشقيق السيد سانت اوين موجود بيننا.

- كما تريدين يا آنسة كيت، وآمل ان اكون عند حسن ظنك دائماً. على فكرة... كيف حال السيدة هاريس وزوجها؟ هل سيكون بخير؟

- شكراً لاهتمامك يا سيدة غريسون، وادعو الله ان يكون السيد هاريس بخير. فليس عندي اية اخبار جديدة عن الحادث.

خرجت كيت من المطبخ بعد ذلك، والسعادة ترفرف حولها: (يمكنني الالتفات الى الضيوف، والاهتمام بهم بوجود السيدة غريسون، فهي جديرة بالثقة. تكاد تضحكني ذكرى قول دميان: «كل ما اتطلبه عندما يصل الضيوف وجودك بيننا مشرقة، جميلة».

لكن الأمور تستدعي اكثر من الجمال والاشراق في الوقت الحاضر. وسأعمل المستحيل لانجاح المهمة الموكلة إلي. فاهدأ بالاً حيث انت يا حبيبي. حبيبي... ما اعذبها من كلمة!).

كان الجميع يتناولون الغداء، حينما دخل مايك، واحتل مكانه على المائدة الى جانب كيت. بدا عليه التأثر وهو يقول:

ـ هناك احتمال في ان يخسر هيوغو ساقه... المسكين. تلاعب بعض العمال الجدد بعربة من عربات المقلع. ولما حاول هيوغو مساعدتهم في السيطرة عليها سقط، وكان هو الضحية. نقلوه الى المستشفى في ترورو، حيث اجرى له الأطباء جراحة مستعجلة. وهم الآن بانتظار نتائج صور الأشعة، حتى يعرفوا تماماً اذا كان بامكانهم الابقاء على الساق. اما دميان فيعتذر عن عدم تمكنه من المجيء يا سيد لندسي، لكن تيار الظروف جارف كما ترى.

قال السيد لندسي:

ـ اذا كانت الأمور سيئة الى هذا الحد، فالأفضل ان نعود من حيث اتينا يا مادلين.

سارع مايك الى القول:

ـ تأكد ان رحيلك سيزعج دميان كثيراً يا سيد لندسي.

ايدت مادلين كلام مايك:

ـ انها مجرد ظروف طارئة يا ابي، ولا لزوم ابداً للتفكير بالرحيل.

ثم تابعت وهي تنظر الى مايك:

ـ كما انني اريد زيادة معرفتي بمايك، والتمتع بصداقته.

عند هذا الحد تدخلت كيت:

ـ لقد اخبرني دميان القليل عن علاقة العمل التي تربط بينك وبينه يا سيد لندسي. ومن خلال حديثه، احسست بتشوقه لقدومك،

ورغبته في ان يريك طبيعة سير الأمور هنا. فأرجو ان تعطيه الفرصة لذلك... وكلي امل ان نستطيع جعل اقامتك بيننا ممتعة الى حين تنجلي الأمور، ويستطيع دميان الالتفات الى عمله.

قال وارن لندسي:

- لا استطيع رفض طلب سيق الي على هذا النحو اللطيف. لذلك ارجو اعتبارنا كفردين من افراد العائلة، حتى تعود الأمور الى نصابها.

انتقلت مادلين الى جانب مايكل، وهي تقول فرحة:

- عظيم. هذا سيفتح المجال امامي لكسب صداقة مايك الغالية.

استعد السيد لندسي لمغادرة المائدة قائلاً:

- طلبات ابنتي اوامر.

اتخذ وارن لندسي طريقه الى الشرفة حيث جلس متسائلاً:

- هل استطيع التدخين؟

كانت كيت قد تبعته:

- بالطبع يا سيد لندسي.

تابع وارن لندسي نظرات كيت التي استقرت على مايك ومادلين في الداخل:

- تفضل ابنتي الرجل الانكليزي على اي رجل آخر. وقد حاولت استمالة دميان عندما كان بيننا في كندا، لكنه اكد لها ان قلبه مشغول بحب خطيبته، ولا سبيل لتغيير رأيه. اعجبني في خطيبك امتزاج الصلابة بالأخلاق عنده. كما انه رجل يعرف كيف يصل الى اهدافه. الا تعتقدين ذلك؟

- هو كذلك بالفعل يا سيد لندسي.

(يحيرني ان دميان صاحب ملايين وانسان في الوقت نفسه. حادثة

هيوغو انسته حتى حلم العمر. . .).

ـ اتحبين دميان يا كيت؟

ادهشها السؤال.

(حتى وارن لندسي له وجه عاطفي انساني. . . اكاد لا اصدق).

اجابته:

ـ ان حبه يملك قلبي وعقلي وكل مشاعري يا سيد لندسي.

سخرت كيت من نفسها: (لو كان دميان هنا، لأعجبته هذه الفقرة من تمثيليتنا . . . ترى هل كان سيسر لو عرف انها الحقيقة؟ الحقيقة التي لم اعد استطيع اخفاءها حتى عن الناس حولي؟).

سألها وارن لندسي بعد دقائق صمت:

ـ لماذا يصر دميان على اعادة فتح المنجم يا كيت؟

ـ ماذا تقصد يا سيد لندسي؟

ـ اريد ان اعرف الأسباب الحقيقية الكامنة وراء اهتمامه باعادة الحياة لهذا المنجم. وهنا لا اقصد النواحي الاقتصادية او المادية. لكنني ابحث عن اسباب انسانية ان وجدت. هل فتح المنجم وسيلة اخرى لتكديس المال فقط؟ اسألك لأنك الأقرب اليه. . .

ـ الا يمكنك سؤاله هو؟

ـ سألته، فلم يخرج عن نطاق الأسباب الاقتصادية.

ترددت كيت ثم قالت:

ـ ان لدميان قصة طويلة مع المنجم، بدأت منذ كان طفلاً يسمع حكايات امجاد المنجم الماضية من ابيه، حتى صار فتحه حلماً من اغلى احلامه. وهو اليوم يسعى لتحقيق هذا الحلم، علّ ذلك يساعده في القضاء على البطالة المنتشرة بين شباب المنطقة ايضاً. انه انسان مثالي يا سيد لندسي، والمال بالنسبة اليه وسيلة وليس غاية. آسفة. تركت

عواطفي تقودني بشكل اعمى.

نظرت اليه بارتباك، لكن تعابير وجهه لم تقل شيئاً: (هل اخطأت فيما فعلت؟ هل اندفعت بجنون؟ كان ابي يقول دائماً: في عالم الأعمال اتركي الكلام لي. ليتني لم اتكلم. ليتني لم اتكلم...).

قال لها وارن لندسي وهو يستعد للانصراف:

ـ شكراً لك يا كيت على الدقائق التي قضيناها سوية.

ـ تأكد يا سيد لندسي انني لم ...

واوقف رنين الهاتف سيل الكلمات على لسانها.

٩ - رحماك يا رب

رفعت كيت سماعة الهاتف:

ـ آلو... نعم.

كان صوت دميان متعباً:

ـ كيت... هل وصل مايك؟

ـ نعم وصل، وهو الآن يتناول وجبة الغداء.

ـ تعرفين مصير هيوغو اذن؟

ـ نعم ... مع الأسف.

ـ على كل حال، ما زلنا بانتظار صور الأشعة التي ستعطي القرار النهائي. لذلك سأبقى مع ماريان حالياً.

ـ بقاؤك معها شيء مفروغ منه. كيف حالها؟

- كما تعرفينها: متماسكة، رائعة. ستأتي شقيقتها من لندن لمساندتها في محنتها. لن استطيع الرجوع الى البيت في الوقت الحاضر. سأذهب الى المقلع اولاً للاطمئنان على حسن سير العمل فيه. كيف تسير الأمور بالنسبة لك؟

- الأشياء هنا تسير بانتظام، وقد وصل الضيوف بالسلامة، فاطمئن.

- اخبرني مايك بذلك، واتمنى ان يستطيع تخفيف العبء عنك حتى اعود.

داهمتها الأفكار: (عن اي اعباء تتكلم يا دميان؟ لقد اخترت وضعي الحالي بكامل ارادتي، فلا حاجة لأن تشغل نفسك بي في الظروف الحالية).

- تأكد انني سأبذل ما في وسعي لاسعاد ضيوفك.

- اعرف ذلك تماماً. اريد ان اكلم مايك من فضلك.

- انتظر لحظة حتى اناديه. دميان، انا...

لكن الكلمات خانتها، فذهبت لمناداة مايك.

مضى يوم كامل قبل ان يعود دميان الى البيت مثالاً حياً للتعب والارهاق. طمأن الجميع:

- اخبرني الأطباء انه لا خوف على ساق هيوغو. والآن اعذروني، فأنا متعب، واريد اخذ قسط من الراحة قبل البدء بأي عمل.

صعد دميان الى غرفته لينام، ولم يره احد في ذلك اليوم، حتى فترة العشاء التي انشغل بعدها مع وارن لندسي حتى ساعة متأخرة من الليل.

ابتلعت رمال العمل المتحركة دميان بعد ذلك لمدة اسبوع كامل، لم تره فيه كيت الا قليلاً، مما دعا وارن لندسي الى القول:

ـ لا شك ان ضغط العمل، ودراسة المشاريع الكثيرة يحرمانك من رؤ ية خطيبك هذه الأيام يا كيت.

ـ انشغاله عني لا يضايقني، لأني اعلم الناس بطبيعة عمله.

ـ هل يعني هذا انك من المؤمنات بأن المرأة تتزوج الرجل وعمله في الوقت نفسه؟

ـ اؤمن بهذا القول الى حد بعيد، لكن...

قاطعها:

ـ لكن مقدار التضحية يعتمد على نوعية الرجل وشخصيته. ودميان سانت اوين يستحق التضحية مهما كانت كبيرة. أليس هذا ما تريدين قوله؟

ـ هذا ما اريد قوله بالضبط يا سيد لندسي.

احبت كيت في تلك الفترة فكرة كونها السيدة الأولى للبيت، صاحبة الأمر والنهي فيه، تشرف وتنظم، تزين وترتب وتسهر على راحة ضيوفها. لم تتوقع ان يلاحظ دميان ما تفعله، وهو غارق في دنيا العمل. لكنها اشتاقت لكلمة منه. وبما ان الظروف لم تكن لتسمح لها بالانفراد به وسؤ اله، فقد اختطفت من الزمن لحظات خرج فيها لركوب سيارته والذهاب لحضور اجتماع وقالت له:

ـ لحظة من فضلك يا دميان...

سألها بأدب لكن بصبر نافد:

ـ ماذا تريدين يا كيت؟

ارتبكت:

ـ في الحقيقة... لا شيء. اردت ان اعرف فقط اذا كان كل شيء على ما يرام.

ـ كل شيء على غاية ما يرام والحمد لله. لكن لماذا تسألين؟

ـ لأنه برحيل ماريان اصبحت المسؤولة عن كل شيء. لذلك اردت الاطمئنان.

ـ يظهر انك من النوع الذي يحتاج الى تشجيع متواصل.

ـ لست من النوع الذي تتكلم عنه... لقد اسأت فهمي.

ـ هل انت مثقلة بالأعباء مثلاً؟

ـ ولا هذا ايضاً. اردت الاطمئنان عن رأيك بعنايتي بالبيت والضيوف.

ـ كل ما يخص هذه النواحي ممتاز. آسف يا كيت... عندي اجتماع في الساعة الثانية، ولم يبق امامي الا دقائق.

ـ آسفة لازعاجك.

ابتعدت عن السيارة، لكن يده امتدت من النافذة لتعانق رسغها:

ـ كيت ... حبيبتي. كل شيء يسير بشكل رائع. شكراً لك... وانا ما زلت بحاجة ماسة لمساعدتك. فلا تتخلي عني.

ودعته بابتسامة، ودخلت البيت نشوى بتأثير كلماته. ومرت الأيام دون اي تغيير يذكر في نوعية الحياة التي عاشتها كيت في الفترة الأولى. لكن سهام الحب كانت قد وجدت طريقها الى قلبي مايك ومادلين، وراحت زهرة حبهما تنمو بمرور الوقت ندية يانعة.

اطل الاسبوع الثاني من الزيارة حاملاً بين طياته الكثير من اجتماعات العمل البيتية، والمراجعين، والزائرين من مهندسين وعاملين في حقلي التنقيب والمناجم.

كانت كيت سعيدة بكل ما يحدث حولها، لكن زيارة جون اوليفر للبيت وأهله، سرقت منها سعادتها لساعات، واستفزتها خاصة عندما نقل لها تحيات قلبية من زوجته وابنته.

اما عن هيوغو فقد طمأنتها ماريان انه بخير، وان صحته وجراحه في تحسن مستمر. واخبرتها عن اشتياقها للعودة الى البيت، وعن اسفها لأنها لم تكن معها لمساعدتها في مثل هذه الظروف الدقيقة. لكن كيت اكدت لها ان صحة هيوغو اهم من كل شيء، وسلامته افضل من أي شيء.

اما المربية فقد اتصلت بها كيت مرة او اثنتين لتطمئن عن احوالها وتسألها اذا كانت بحاجة لأية مساعدة.

بعد ان اطمأنت على كل هذا، جلست يوماً وحدها في الحديقة تحرسها نجوم الليل، بينما كانت افكارها تتتابع: (كل الخطوات المستقبلية دخلت حيز المعلوم بالنسبة لمن حولي. اما خطوتي انا فقد بقيت مع المجهول. . . بعد انتهاء مهمتي سأعود الى لندن. . لماذا لم تعد الفكرة تسعدني؟).

خفق قلبها وهي تسمع صوت دميان يناديها، فاستدارت لتجده خلفها:

- بحثت عنك كثيراً يا كيت.

جلس على كرسي بالقرب منها قائلاً:

- عندما انتهي من توقيع هذا المشروع، سأنام اسبوعاً كاملاً.

قالت له:

- كنت مشغولاً في الأيام الماضية، فلم استطع سؤالك اذا كنت تجد بشائر خير للمشروع.

- اظن ان النجاح سيكون حليفنا بعون الله.

- ما اسعدني بمثل هذا النبأ.

- لا تتسرعي في الحكم على الأمور يا كيت. ان وارن لندسي لم يعط كلمته الأخيرة بعد، وهو الوحيد الذي يستطيع ان يقنع القائمين

على شركة فزستور بجدوى المشروع.
- لكنه سيعلن موافقته قريباً، اليس كذلك؟
- لا يسعني الجزم بذلك. لكن السيد لندسي طلب من مايك ان يأتي معهما لزيارة كندا، وهو لا يمكن ان يطلب من اخي مثل هذا الطلب لو كان ينوي رفض المشروع. ستكون زيارة كندا فرصة رائعة لمايك.
- طبعاً، طبعاً...
- ما هذه السخرية الخفية التي الاحظها في جوابك؟
- انا لا اسخر، لكن الم تلاحظ ما يحدث هذه الأيام خارج محيط العمل؟
- تعرفين انني كنت مشغولاً بعملي طوال هذه الفترة.
- اثناء فترة انشغالك هذه، عرف مايك معنى الحب يا عزيزي.
- احقاً ما تقولين؟ لكن مايك ما زال شاباً يانعاً في العشرين من عمره.
- وماذا في ذلك؟ لو انك وقعت في شباك الحب عندما كنت يافعاً مثله، لتجنبت الكثير من المشاكل.
- عن اي نوع من المشاكل تتكلمين؟
- مشاكل المجيء بي الى هنا لحمايتك من مادلين.
- وضعنا يختلف تماماً... سيعود وارن لندسي مع ابنته الى كندا يوم الجمعة القادم، وسيسافران من كورن وول الى لندن بالقطار يوم الخميس. فقد اكد لي انه لن يتحمل رحلة اخرى بالطائرة المروحية مهما كانت قصيرة. لذلك افكر باقامة حفلة وداع لهما.
- ما نوع الحفلة التي تفكر فيها؟ حفل عشاء مثلاً؟
- اقامة حفل عشاء يعطي المناسبة شكلاً رسمياً، لذلك فكرت

بحفل عادي يجتمع فيه بعض رجال الأعمال من اصدقائي بالسيد لندسي، وتقدم خلاله انواع العصير المختلفة مع بعض الأشياء الخفيفة. هل يمكنك ابلاغ الدعوة لهؤلاء هاتفياً؟

ـ سأفعل.

ـ وماذا بالنسبة للمآكل الخفيفة؟

ـ انس كل شيء... ودعني اتدبر الأمر.

ـ شكراً يا كيت. اعرف انني استطيع الاعتماد عليك دائماً.

في اليوم التالي قررت كيت الاستعانة بماريان لتدبير امور الدعوة المفاجئة. وكانت الأخيرة اكثر من مستعدة لمد يد العون:

ـ اعرف كل المحلات التي تستطيع مساعدتك، لكن لا بد من مجيئك للاشراف على اختيار انواع المآكل. الا يستطيع دميان ان يأتي بك اليّ؟

ـ انه مشغول جداً مع السيد وارن لندسي هذه الفترة...

ازعجتها فكرة: (لم يكلف نفسه عناء اخباري عن مكان وجوده اليوم. لا شك ان غياب هيوغو زاد من ثقل مسؤولياته. لا بد انه في المقلع الآن. كان الله في عونه...).

قالت كيت لماريان:

ـ سأستعين بسيارتك الصغيرة في الوصول الى ترورو، وسنلتقي في الفندق الذي تقيمين فيه.

كان اللقاء حاراً بين الاثنتين في فندق المدينة الفخم. قالت ماريان:

ـ كم انا سعيدة برؤيتك بعد هذه الغيبة الطويلة.

ـ كيف حال هيوغو؟

ـ احواله في تحسن مستمر ولله الحمد. وقد نعود الى البيت في

خلال عشرة ايام. سنمر عليه لزيارته اذا احببت، بعد ان ننتهي من اشغالنا.

- سيكون ذلك من دواعي سروري.

خرجتا من الفندق، ومشتا على مهل عبر شارع بوسكوين قبل ان تقول كيت:

- تبدو ترورو مدينة شيقة، وتعجبني فكرة التجول في شوارعها.

- ماذا تظنين اني كنت افعل خارج اوقات الزيارة في المستشفى؟ لقد ساعدني تجوالي في معرفة المدينة اكثر. انها مدينة تاريخية رائعة. يجب ان تعودي اليها مع دميان ليشرح لك بعضاً من زوايا تاريخها العريق بنفسه.

- سنفعل ذلك ان شاء الله حالما تستقر احوال العمل قليلاً بالنسبة اليه. واعتصر الألم قلبها: (بعدما تستقر احوال العمل بالنسبة لدميان، سأعود الى لندن لأنغمس في عالم الضرب على الآلة الكاتبة الذي سينسيني التاريخ واهله).

كانت عملية انتقاء اصناف المآكل والمشارب اسهل مما توقعته كيت، فقد كان لاسم دميان سانت اوين تأثير كبير في اصحاب المحلات التي قصدتها مع ماريان.

قالت كيت:

- ما اسهل الأمور عندما يكون الانسان صاحب ملايين!

ادهش قول كيت ماريان:

- استغرب ملاحظتك، لأنني أحس بحبك لدميان. وهذه ليست ملاحظة محبين.

تهربت كيت من قول اية كلمة، وتابعت الطريق مع ماريان لزيارة هيوغو الذي اسعدته رؤيتهما كثيراً. قال:

ـ اعتقد ان كل الناس تحسدني على زيارة خطيبة دميان سانت اوين لي اليوم في المستشفى، حتى ولو كانت الزيارة لمدة خمس دقائق فقط.

مضت الدقائق الخمس بسرعة رهيبة، تركت كيت بعدها الغرفة مع ماريان متمنية لهيوغو الشفاء العاجل.

صادفهما الدكتور تيموثي تيرنر اثناء خروجهما من المستشفى. فتقدم منهما مرحباً، وطمأن ماريان عن احوال زوجها قبل ان يقول لكيت:

ـ تسعدني رؤ يتك في المدينة يا آنسة وارنغتون. هل ستمضين نهارك فيها؟

ـ لا اعتقد ذلك يا دكتور، فأنا على عجلة من امري.

ـ لقد انهيت فترة مناوبتي، وادعوك لمشاركتي شرب كأس من العصير في مكان ما، وكلي رجاء الآ ترفضي دعوتي المتواضعة.

أرغمها لطفه على القبول. فرافقته مع ماريان الى احد المقاهي حيث اخبرهما انه سينتقل الى احد مستشفيات لندن لمتابعة تدريبه. وقد دعاهما لمشاركته الشراب لأنه يرى في المناسبة ما يستحق الاحتفال. ثم تابع قائلاً:

ـ استطيع اعادتك الى البيت بعد ذلك بسيارتي ما دمت على عجلة من امرك.

ـ اشكرك يا دكتور، لكنني اتيت بسيارة ماريان.

قاطعتها ماريان:

ـ ارجوك يا كيت، بما ان الدكتور مستعد لنقلك الى البيت فسأبقي السيارة، اذا سمحت، لتساعدني في تنقلاتي هنا.

ـ لا امانع في ذلك ابداً يا ماريان.

بعد ذلك شكرت ماريان الدكتور، وسألت كيت قبل ان تذهب

للقاء صديقة لها وقفت تنتظرها عند مدخل المقهى:
ـ استبقين فترة طويلة في البيت بعد رحيل الضيوف؟ يسرني رؤيتك هناك بعد خروج هيوغو من المستشفى.
ترددت كيت:
ـ في الحقيقة، كل ما يتعلق بالمستقبل ما زال مبنياً للمجهول بالنسبة الي. على كل انا باقية في البيت حتى يقضي الله امراً كان مفعولاً. لأن الآنسة بيب في طريقها الى هنا لاستلام الكوخ، وعليّ مساعدتها بالاستقرار فيه.
ـ الى لقاء قريب اذن باذن الله.
حين بقيت كيت وحدها مع الطبيب سألته:
ـ هل ستشفى ساق هيوغو تماماً يا دكتور؟
ـ في الحقيقة... لا ادري ماذا اقول. صحيح ان الجرح لم يصل الى العظم، لكن انسجة العضلات تمزقت تماماً، ويلزمها وقت طويل للشفاء. لكن هيوغو انسان متفائل، وتفاءلوا بالخير تجدوه، اليس كذلك يا آنسة؟
ـ معك حق يا دكتور.
ـ اتودين شرب كأس اخرى من العصير؟
ـ لا شكراً. يجب ان اعود الى البيت.
شقّا طريقهما الى باب الخروج وهو يقول:
ـ اتمنى ان تكوني قد استمتعت بهذه الزيارة الخاطفة لمدينتنا الصغيرة.
ابتسمت مجيبة:
ـ شكراً على اهتمامك يا دكتور، لقد كانت زيارتي ممتعة للغاية.
تتابعت احداث ذلك النهار سريعة لاهثة، فقد أعلن وارن

لندسي موافقته على خطوبة مايك لمادلين، وقال لكيت التي كانت على الشرفة عندما علمت بالنبأ:

- نستطيع تطبيق مبدأ نظرة... فابتسامة... فموعد... فلقاء على هذين الصغيرين، أليس كذلك يا كيت؟

- بالفعل يا سيد لندسي.

كان دميان قد وصل، وهنأ الخطيبين عندما سأل وارن لندسي كيت:

- ما رأيك يا كيت بزفاف مزدوج؟

اخافتها السخرية في عيني دميان، عندما احاط كتفها بذراعه متسائلاً:

- انا ايضاً اتساءل، ما رأيك بالزفاف المزدوج يا كيت؟

اشاحت بوجهها عنه وهي تقول:

- افضّل ترك الأمور للظروف.

في تلك اللحظة ظهرت آيدا على الشرفة، لتخبرها بمكالمة هاتفية من بريستول. اتاها صوت المربية عبر اسلاك الهاتف مفعماً بالحماس:

- آنسة كيت، سأصل غداً مع اغراضي اذا لم يكن لديك مانع، لأن الشركة المسؤولة عن النقل، وجدت متسعاً من الوقت لمباشرة الرحلة غداً، مؤكدة انها ستكون بنفقات اقل. فما رأيك؟

- فكرة حسنة، وسأكون بانتظارك غداً على احر من الجمر، لأنني في غاية الشوق لرؤياك.

وضعت كيت سماعة الهاتف في مكانها، وانشغلت حتى موعد الغداء باعادة تنظيم البيت، استعداداً لحفل المساء.

اما وجبة الغداء، فقد كانت خفيفة، تناولها الجميع على الشرفة

قبل ان يبدي وارن لندسي رغبته في زيارة منطقة لاندزاند التي تنتهي عندها حدود املاك دميان. وقد ايدته مادلين في رغبته بقولها:

ـ ارجوك يا دميان اريد زيارة تلك المنطقة ورؤ يتها بنفسي. لأن مايك رفض ان يأخذني لزيارتها على أساس انها مزدحمة.

وتطلعت اليه مبتسمة قبل ان تكمل:

ـ اعتقد انه يفضل ان نبقى وحدنا.

كان صوت دميان غريباً على اذن كيت وهو يقول:

ـ وأنت يا كيت، الا تريدين الذهاب ايضاً يا ... حبيبتي؟

ـ كنت اتمنى ذلك يا دميان. لكنني مضطرة للبقاء حتى اضع اللمسات الأخيرة على تنظيم البيت وترتيبه، ليكون بأبهى حلة حين يأتي الضيوف.

استغربت انه لم يحاول اقناعها بالعدول عن رأيها، لكنها انشغلت بعد رحيل الجميع بتزيين الزوايا بالأزهار والورود على اختلاف انواعها بشكل زاد البيت دفئاً وجمالاً.

حين القت نظرة اخيرة على المكان، واطمأنت على حسن سير الأمور في المطبخ، كانت الساعة تقارب الثامنة مساء، ولديها متسع من الوقت لتجهيز نفسها، واستقبال الضيوف في التاسعة.

كانت قد استحمت، وجلست تتأمل الفستان الذي اختارته للحفل بلونه الأصفر الهادىء واناقته المفرطة، حين سمعت طرقاً على الباب فأعطت الاذن بالدخول قائلة:

ـ بإمكانك الدخول يا آيدا.

وخلال ثوان كان دميان سانت اوين داخل الغرفة، مارداً جباراً يتطاير الشرر من عينيه. استغربت وجوده لكنه اقترب منها قائلاً:

ـ لماذا الاستغراب يا آنسة؟ ألا تحق لي زيارتك والاطمئنان عليك

متى شئت؟

حاولت تفادي غضبه بترك مقعدها، لكنه منعها من ذلك قائلاً:

ـ لماذا تتهربين مني؟ انا هنا فقط لأخبرك انني تكلمت مع وارن لندسي، وعرفت منه كل شيء.

حاولت السيطرة على اعصابها وهي تقول:

ـ ما الذي عرفته من وارن لندسي؟

قال ساخراً:

ـ عرفت ان المشروع سيدخل حيّز التنفيذ قريباً. الست سعيدة بنجاحنا؟

ـ بلى... سعيدة جداً. لكنك تبدو ابعد الناس عن السعادة...

ـ كان بإمكاني ان اكون سعيداً جداً لولا هذه البداية المأساوية.

ـ اذا كنت تعني حادث مقلع الحجارة، فهو لم يؤخر الأمور اكثر من يومين.

ـ لكن وارن لندسي يعتبر الوقت من ذهب، ويجب الا نضيعه.

ـ هل خفت ان يرحل ويترك المشروع؟

عذبتها سخريته وهو يقول:

ـ لا ... خفت ان يموت من سوء التغذية.

عادت تحتمي بموضوع غيابه عن البيت:

ـ غبت عن البيت يومين كاملين في تلك الفترة.

ـ ذلك لأنه في هذه الحياة يوجد المهم ويوجد الأهم. وهيوغو وزوجته من النوع الأهم بالنسبة لي، لأنهما صديقاي. اتفهمين ما اعني؟

ـ طبعاً... افهمك تماماً.

تابع اندفاعه على درب السخرية قائلاً:

ـ وطبعاً نجحت الزيارة بفضلك نجاحاً باهراً.
اربكتها سخريته:
ـ لقد بذلت قصارى جهدي . . .
ـ وتوصلت الى اخضاع وارن لندسي الذي لم يتوقف عن الحديث عنك بشكل شاعري منذ اللحظة التي تركنا فيها البيت، مؤكداً انني من المحظوظين.
احتمت بأفكارها: (اقسم انني لم اتوقع عرفانه بالجميل، او حتى شكره. لكن لماذا يصر على تعذيبي بسخريته؟ اتراه من النوع الذي يكره ان يسانده احد في مجال عمله؟ لا . . . لا يمكن ان يكون من هذا النوع ابداً).
قالت له:
ـ قوله انك من المحظوظين مديح لك.
ـ اتعتقدين ذلك؟
ـ يحاول وارن لندسي ان يكون مؤدباً. لانني سهرت على راحته طوال فترة وجوده. لكن هذا كله لا ينفي انك من الرجال الذين يحب التعامل معهم.
ـ وخاصة بعد ان اظهرتني بصورة الانسان المثالي يا آنسة وارنغتون!
ـ وهل ضايقتك الصورة المشرقة التي رسمتها لك في ذهنه الى هذا الحد؟ على كل حال، اعتذر اذا كنت قد اخطأت. وتأكد يا سيدي انني سأترك البيت حالما تنطوي الصفحة الأخيرة من اتفاقنا، ولن ازعجك بعد الآن.
ـ والى اين تريدين الذهاب؟
ـ سأعود الى لندن طبعاً. تأكد ان كل ما قلته عنك للسيد لندسي

هو رأيي الصريح بك دون اية مجاملات.

- لن اكون غبياً الى حد تصديق اقوالك وآرائك. فلا تتعبي نفسك يا آنسة.

امتزج فيها الغضب بالدهشة قبل ان تقول:

- لقد كنت صادقة في كل كلمة قلتها... لكن جل من لا يخطىء يا سيد سانت أوين.

صوب اليها نظرات حاد:

- اتجدين صعوبة الى هذا الحد في معرفة حقيقتي؟

- لا ... ابداً. اطمئن. انت لا تختلف عن امثالك من رجال الأعمال الذين اكرههم من كل قلبي، لأنهم لا يعرفون معنى الاخلاص والوفاء.

اضاء الغضب وجهه بنور مخيف وهو يقترب منها. حاولت الابتعاد عنه، لكنه كان اسرع منها. فأمسكها من كتفيها وهزها بعنف وهو يقول:

- اياك والتكلم عن الاخلاص والوفاء يا آنسة وارنغتون. ومهما كانت فكرتك عني فستبقين الليلة خطيبتي انقاذاً لوضعي امام الناس.

بعد ذلك تركها تسقط على الأريكة، واتجه نحو الباب قائلاً:

- كوني جاهزة في التاسعة تماماً لاستقبال الضيوف.

بقيت كيت بعد خروجه دقائق على الاريكة حيث تركها، تحاول السيطرة على نار الحيرة والغضب والألم التي شبت في داخلها: (الهي ... ما الذي فعلته لاستحق هذا كله؟ ما الخطأ الذي ارتكبته؟ رحماك يا رب... رحماك).

١٠ - الحب والعذاب والغيرة

مضت ساعات الحفل على كيت ثقيلة بطيئة قضتها تتنقل بين الضيوف مبتسمة مرحبة، بينما كان قلبها ينزف الدموع: (احمد الله على ان اهتمام الموجودين منصّب اليوم على مايك ومادلين. . . دميان مصر على اتقان التمثيل حتى اللحظة الأخيرة. يلازمني كالعاشق، لكنه في الحقيقة فقد الثقة بي، ويريد مراقبة حركاتي وسكناتي. ما اتعسني بخسارة ثقته. . .).

كلمها مرة واحدة خلال السهرة قائلاً:

ـ فستانك جميل ومناسب لعقد اللؤلؤ حول عنقك.

حاولت ان تسخر منه:

ـ لبسته تنفيذاً لأوامرك.

اجابها ببرود:

ـ انك فتاة تعرف معنى الطاعة دون شك.

ـ لا تخف... سأعيد العقد سالماً مع الخاتم.

ـ انا واثق من ذلك. لكن الا تريدين الاحتفاظ بالعقد ذكرى لأيامنا معاً؟

رسمت ابتسامة كاذبة على ثغرها قبل ان تقول:

ـ اكرهك... اكرهك بكل ما اوتيت من قوة يا دميان.

لم تنتظر بعدها لسماع اية كلمة منه، بل استدارت لتحية احد اصدقائه، بينما اختفى هو دقائق على الشرفة مع كارول اوليفر. حين ملأت الموسيقى ارجاء المكان فرحت كيت لأن دميان لم يطلبها للرقص: (وجودي بين ذراعيه قد يضعفني. وانا بحاجة الى كل قوتي هذا المساء). شارفت الأمسية على نهايتها، ووقفت كيت تودع الموجودين بكل لباقة، محاولة تناسي عذابها بالتفكير بساعات نوم مريحة قادمة.

بعد ان ودعت الجميع ذهبت الى غرفة المكتبة بحثاً عن ملجأ ينقذها من انين الألم الذي بدأ صداه يمزق كيانها: (انتهت المرحلة الأخيرة، وانطوت آخر صفحة من صفحات اللعبة. اريد ان انام... اريد ان انام).

فجأة تسرب صوت دميان الى دنيا عذابها ليزيد لهيب قلبها اشتعالاً بقوله:

ـ سأعود بعائلة اوليفر الى منزلهم، لأن جون متعب ولا يستطيع القيادة. اريد فقط ان اخبرك انني قررت الذهاب الى لندن غداً مع مايك ومادلين والسيد لندسي.

استطاعت السيطرة على مشاعرها الجريحة وهي تقول:

- سأبدأ الليلة بحزم حقائبي. وعندما تصل صديقتي الآنسة بيب في الغد، سأساعدها في الاستقرار في منزلها الجديد ثم ارحل. هذا اذا لم تكن قد غيرت رأيك بشأن الكوخ.

- انا التزم بتنفيذ وعودي دائماً. تستطيع صديقتك الانتقال الى الكوخ متى شاءت. وعندما يعود هيوغو الى العمل سيرتب لها عقد ايجار مدى الحياة، كما سبق وقلت لك.

- اشكرك...

- بل انا الذي يجب ان اشكرك على ما فعلته طوال هذه الفترة. وانتهز هذه الفرصة لتوديعك، لانني بعد عودتي من لندن سأسافر الى الشمال، وقد لا تتسنى لي رؤيتك بعد الآن، الا ربما في لندن او عندما تأتين لزيارة صديقتك.

- معك حق. ربما...

دخلت كارول الغرفة قائلة:

- اين انت يا عزيزي؟ ابي وامي في الانتظار اذا كنت مستعداً للذهاب.

تأملتهما كيت وهما يبتعدان نحو السيارة، وما ان وصلا قريباً منها حتى احاطت كارول دميان بذراعيها، واراحت رأسها على صدره دقائق، مرت على كيت وكأنها ساعات قبل ان تعود الى غرفتها بقلب ادمته الجراح، بحثاً عن الوحدة ورغبة في النسيان.

وفي الصباح عاشت كيت مع دميان الدقائق الأخيرة من التمثيلية تتمنى للمسافرين سفراً موفقاً وتسمع منهم كلمات الشكر والعرفان.

لوحت لهم بيدها مودعة ودخلت الى المنزل وصدى فكرة واحدة يتردد في حناياها: (اسدل الستار على المشهد الأخير من احدى تمثيليات الحب. يا رب... انت الباقي ولكل شيء نهاية).

عادت من جديد الى غرفتها لتكمل جمع الأغراض التي جاءت بها، ودخلت غرفة دميان لتضع على منضدة فيها، العقد والخاتم اللذين اسماهما يوماً «مقومات اللعبة».

حين نزلت الى المطبخ اعطتها السيدة غريسون مغلفاً مغلقاً قائلة:

ـ لقد تركه السيد سانت اوين معي هذا الصباح، على ان اسلمه لك بعد سفره.

ـ شكراً لك. وارجو منك ان تقولي للآنسة بيب عندما تأتي انني بانتظارها في الكوخ عبر المروج.

ـ كما تريدين يا آنسة وارنغتون. هل ترغبين بصنف معين من اصناف الأكل على الغداء؟

ـ لا شهية لي اليوم على الاطلاق. هناك بعض الأكل الخفيف في الثلاجة الموجودة في الكوخ، وسيشبعني القليل منه اذا احسست بالجوع.

ـ كما تشائين، يا آنسة وارنغتون.

بعد ان انهت كيت الحديث مع السيدة غريسون، اتجهت الى غرفة المكتبة، وفتحت المغلف لتجد في داخله شيكاً بمبلغ خمسمائة جنيه استرليني، موقعاً باسم دميان سانت أوين، فمزقته في الحال، وتركت البيت باتجاه الكوخ وهي تؤكد لنفسها: (غداً سأترك هذا البيت الى الأبد).

قالت المربية وهي تجلس على كرسي في الفسحة المحيطة بالبيت، تداعب قطها مونتي:

ـ هذا البيت حقق كل احلامي يا آنسة كيت.

ـ انا سعيدة من اجلك، يا مربيتي الغالية.

حاولت كيت ان تتناسى تعاستها في ظل سعادة المربية الطيبة:

(سعادة هذه الانسانة الرائعة تستحق ما عانيته، وسأعانيه من شقاء).

كانت المربية قد وصلت بسيارة السيد فوغارتي، الذي رحل بعد وصولها مباشرة بسبب اشغاله المتلاحقة، كما افهم كيت. اما عربة الأغراض فقد وصلت بعدهما بقليل. وقضت الاثنتان النهار في ترتيب الاغراض وتنظيمها في البيت. وعندما مرت بهما السيدة نوريس اثناء النهار لترحب بجارتها الجديدة، لم تمكث الا دقائق معدودات، عادت بعدها الى دوامة حياتها اليومية الخاصة.

كانت الساعة تقارب التاسعة مساء عندما ودعت كيت مربيتها قائلة:

ـ الآن وقد استرحت في فراشك، فسأتركك لانني متعبة، ويجب ان ارتاح. سأمر بك غداً صباحاً قبل ان اذهب للمحطة. وسأعود لزيارتك كلما سنحت لي الفرصة. تصبحين على خير، والى اللقاء.

تركت كيت الكوخ واستسلمت لظلمة الليل التي احاطتها من كل جانب وهي في طريقها الى البيت.

سمعت حركة بالقرب منها قبل ان تعترض طريقها قامة مديدة. شل الذعر حركتها، ومنعها حتى من الصراخ. لكن صوتاً مألوفاً خاطبها مواسياً:

ـ لا تخافي يا كيت، انا دميان.

حملقت كيت في الظلام: (انه دميان... دميان فعلاً).

خفف عنها تأثير المفاجأة:

ـ اعرف ان وجودي مفاجأة غير منتظرة. لكنني انتظرتك طويلاً.

ـ انتظرتني انا؟

ـ نعم...

ـ لماذا عدت؟
ـ لأنني اريد سماع جوابك على سؤال. لكن دعينا نعاود السير اولاً.
سألته بعد صمت:
ـ ما السؤال الذي تريد اجابة عليه يا دميان؟
ـ لماذا تريدين العودة الى لندن؟
ـ لماذا اريد العودة الى لندن؟ اعذرني. لن اجيبك على مثل هذا السؤال الغريب.
ـ بل يجب ان تجيبيني عليه.
ـ حسناً. سأعود الى لندن لأعيد عجلة حياتي، التي توقفت هناك عن الدوران: عملي، غرفتي، صديقاتي. هل انت راض عن الجواب؟ ثم لماذا ابقى هنا ما دمت غير راض عن تصرفاتي؟
ـ ومتى قلت شيئاً كهذا؟
ـ في مناسبة لا اعتقد انك نسيتها بهذه السرعة.
ـ كيت وارنغتون... الا تعرفين معنى الاحساس بالغيرة؟
ـ ما الذي تعنيه بالغيرة؟
ـ بصراحة اكثر اسألك: هل كنت ذاهبة الى لندن للحاق بالدكتور تيموثي تيرنر؟
ـ طبعاً لا... وألف لا...
ـ الا تحبينه؟
ـ وكيف احب رجلاً لا اكاد اعرفه؟
ـ عظيم. ارجو ان تقبلي اذن هذا الخاتم رمزاً لخطوبة حقيقية هذه المرة. اطلب منك القبول، مع انني اعرف عدم حبك للمال وأصحابه. لكنني اعدك بأن اساعدك على تغيير مشاعرك. واعترف

انني لن استطيع العيش بدونك. اتصدقين ان لندن بدت لي قاحلة، لأنك بعيدة عنها؟ لذلك عدت بطائرة مروحية، وانتظرت منذ وصولي خروجك من الكوخ حتى اكلمك عن احاسيسي واشرح لك مشاعري. اتقبلينني زوجاً يا كيت؟

لم تصدق كيت ما سمعته اذناها، حتى ضمها دميان بين ذراعيه برفق وكأنها شيء ثمين يود المحافظة عليه وقال لها:

- هل صدق كلام السيدة آش بروك في انني انسان لطيف؟
- كل ما يهمني الآن اني عرفتك بكل سلبياتك وايجابياتك.
- لقد تركت في نفسي اثراً عميقاً منذ التقينا اول مرة.
- لماذا لم تصارحني بذلك حتى الآن؟
- لأنني لم اكن واثقاً من عواطفك نحوي. لذلك فضلت الصبر لثقتي بانه مفتاح الفرج.
- صحيح. في البداية لم اكن احبك، لكنك ملكت عقلي وعواطفي فيما بعد.

احتضنها بكل الحب بين ذراعيه وقال:

- سأسافر غداً الى اسكتلندا وستكونين معي لنتزوج هناك، ونقضي اول ايام رحلة العمر في فندق رائع يطل على البحيرات. ما رأيك؟
- فكرة ممتازة يا حبيبي.
- احبك يا كيت، وأضع قلبي وكل ما املك بين يديك.
- انا لا اريد الا مشاركتك لي ايام عمري ورحلة حياتي.

تعانقت ايديهما واتخذا طريقهما نحو البيت قبل ان تسأله كيت:

- لماذا تصورت انني سأذهب الى لندن سعياً وراء الدكتور تيموثي تيرنر؟

فكر قليلاً قبل ان يجيب:
- هل قرأت يوماً مسرحية «عطيل» لوليم شكسبير؟.
- نعم قرأتها. . . وعرفت كيف ان الغيرة يمكن ان تنقلب الى دافع للقتل اذا ترك صاحبها نفسه فريسة للأقاويل والشائعات.
وسكتت قليلاً قبل ان تتابع:
- كارول اوليفر هي اساس كل ما حدث بيننا من سوء تفاهم. اليس كذلك؟
- نعم. فقد افهمتني انك تخرجين سراً مع الدكتور تيرنر كلما سنحت لك الفرصة، منذ تعارفكما في الحفل الذي اقامته. لم اصدقها في البداية طبعاً، وعرفت انها وسيلة خبيثة من وسائلها لتشويه صورتك في ذهني. لكنني يوم رأيتكما صدفة في ذلك المقهى في ترورو تشربان المرطبات وتتضاحكان، ثم ركبت معه في سيارته، كدت افقد صوابي. ووثقت من ان ما تقوله كارول حقيقة واقعة.
- كنت في المقهى مع ماريان نشرب المرطبات مع الطبيب احتفالاً بمناسبة انتقاله الى لندن بناء على دعوة لطيفة تلقيناها منه. وقد عرض علي نقلي الى البيت بسيارته لأن ماريان كانت تريد ابقاء سيارتها التي جئت بها الى ترورو. هذا كل ما في الأمر.
- لا حاجة بك الى الشرح. فأنا المخطيء، لأنني لم اسألك تفسيراً للوضع منذ البداية، وتركت نفسي لقمة سائغة في فم الشك والظنون.
قاطعته:
- ووبختني على حديث حلو تبادلته مع وارن لندسي حول آمالك واحلامك. اليس كذلك؟
- لا يسعني الانكار. نعم. هو كذلك. . .

ردد الليل صدى ضحكاتها قبل ان تفاجئه كيت باستفسار آخر:

- لماذا ضممت كارول اوليفر الى صدرك البارحة؟

- انا لم اضمها يا كيت. هي التي عانقتني مودعة، لانها سافرت اليوم الى نيوزيلندا.

- وكنت تريد ان تثير غيرتي بمبادلتها العناق؟

- نعم، اعتقد انني فعلت ذلك بقصد تعذيبك. سامحيني...

- كل ما حدث البارحة ابتلعه الماضي. وما يهمني الآن هو حاضري ومستقبلي معك يا حبيب العمر ورفيق الأيام...

ورددت نجوم الليل مع قلبيهما قسم الحب ووعد الوفاء.

روايات عبير

روائع الأدب الرومانسي

- زوجة الهندى
- السر الدفين
- طال انتظاري
- الوجه الآخر للذئب
- برج الرياح
- الماضي لايعود
- لقاء الغرباء
- وردة قايين
- عصفور فى اليد
- الغيمة أصلها ماء
- الهوى يقرع مرة
- خيط الرماد
- الصقر واليمامة
- حتى تموت الشفاه
- أصابع القمر
- وعاد فى المساء
- القرار الصعب
- الفريسة
- أريد سجنك
- خطوات نحو اللهب
- دمية وراء القضبان
- عذراء فى المدينة
- الامواج تحترق
- العروس الاسيرة
- رجل بلا قلب
- سيدة القصر الجنوبى
- شهر عسل مر
- عيناك بصري
- من أجل حفنة جنيهات
- رجل من نار
- نداء الندم
- ليالي الغجر
- ما أقصر الوقت
- قلب فى المحيط
- المجهول الجميل
- الزواج الابيض
- أقدام فى الوحل
- قال الزهر آه
- كيف أحيا معك
- غضب العاشق
- مزرعة الدموع
- الواحة
- آخر الأحلام
- هل تخطىء الانامل
- البحر الى الأبد
- الحصار الفضي
- الشبيه
- الكذبة
- الندم
- انت لي
- جراح باردة
- طائر بلا جناح
- عاطفة من ورق
- قطار فى الضباب
- قل كلمة واحدة
- مندلا
- تعالى
- السعادة فى قفص
- هاربة
- هذيان
- أرياف العذاب
- اللهب والفراشة
- لا ترحلي

روايات عبير

روائع الأدب الرومانسي

الضائعون
صرخة البرارى
دليلي
دخان
الثأر
وفازت
خذ الحب واذهب
اللؤلؤة
لا تقولى لا
المجهول
بين السكون والعاصفة
رمال فى الأصابع
الشريدة
شاطىء العناق
ذهبى الشعر
تعالى إلى الأدغال
الفخ
فى قبضة الأقدار
دليلة
القيد
الماس اذا التهب

الحمقاء الصغيرة
حائرة
نهر الذكريات
نبع الحنان
البخت
إثنان على الطريق
سيد الرعاة
غفرت لك
عنيد
صعب المنال
أين المفر
القرصان
اللمسات الحالمة
لحظات الجمر
النجمة والجليد
توأم التنين
البحار الساخر
جرح الغزالة
لمن ترف الجفون
الشمس والظلال
أنين الساقية
شريك العمر

سمعا وطاعة
أيام معها
صحراء الثلج
الأغنية المتوحشة
بانتظار الكلام
يدان ترتجفان
ممر الشوق
المفاجأة المذهلة
أسوار وأسرار
الإرث الآسر
عروس السراب
الحد الفاصل
الحصن المرصود
كالسحر
تناديه سيدي
أعدني إلى أحلامي
المنبوذة
الخطاف
الوعد المكسور
السجينة
الخلاص
هديتي

روايات عبير

روائع الأدب الرومانسي

- أرجوحة المصير
- الراية البيضاء
- العذاب إذا ابتسم
- الرجل الفراشة
- أنشودة البحيرة
- النصف الآخر
- دورها فى اللعبة
- حورية التلال
- سيدة نفسها
- دون أن تدرى
- ضحية
- صخرة الأمنيات
- عقد الأصداف
- عد فقيراً مثلى
- لا تعتذرى أبداً
- قبل أن ترحل
- لو لم تسافر
- لقاء واحد يكفى
- مصارع الثيران
- مازلنا غرباء
- نصف الحقيقة
- منارة فى الأنواء
- وحدهما فقط
- أطياف بلا وجوه
- البحث عن وهم
- الوادى السرى
- بحر العتاب
- بين الحلم والواقع
- عروس إبليس
- فصول النار
- قيد الوفاء
- لا أحد سواك

❀ هَـذه الرَوايَاتُ هي جوَاز سِفرك إلى عالـَم الخيـَال والعـَاطفة، إنهَا أيضًا بطـَاقة للإبحَار في زوْرَق الحـُلم خـَارج ليْل الوحـْدَة

❀ تأخذكَ هـَذه الرَوايَاتُ إلى حيـْث تشعّ منـَارة اللقـَاء، وَيربح الحبّ كلّ جولـَة مع السّعـَادة

❀ في روَايَاتُ عَبـِير أصَابع الحنان تغيّر مجْرَىْ الأيَام نحو ربيـْع المشَاعر

❀ إنّهـَا دنيـَا الحبُّ، تجمّعَت في سِطور...



مِنَ القَلبِ ... إلى القَلبِ

